روايات احلام

# ردّ قلبي

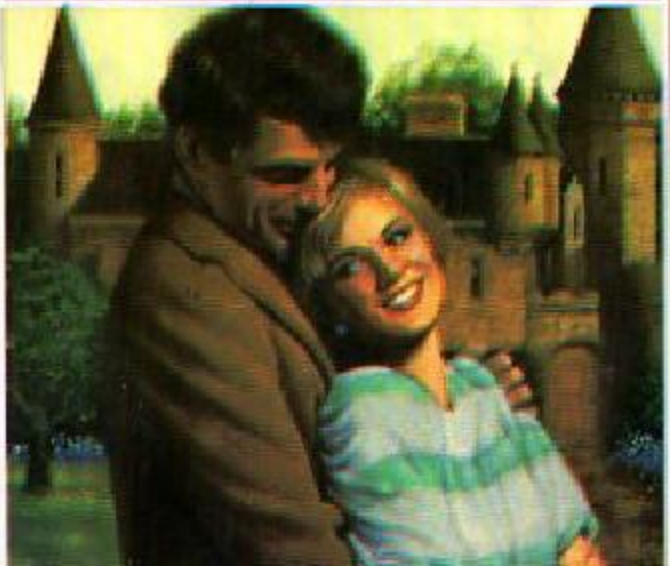

# روايات احلام

## رد قلبي

ما أروع الهروب من عتمة الحزن إلى شمس الفرح! من سجن الوحدة إلى فضاء الحرية! وهذا ما اختارته فكتوريا عندما تركت ذكريات حبيبها التعيسة وراءها ولجأت إلى جمال الطبيعة...

لكن هناك مشكلة بدت في الأفق. فسيد هذا الجمال هو الكونت نيقولا غوداود، وعندما حاصرها بإغوائه أبرزت مخالبها... فقلبها ما زال مفعماً بالمرارة بعد غدر حبيبها السابق غايثن بها، وهذا يجب أن يعلمها درساً قاسياً في التعامل مع الرجال المخادعين. ولكن هل تعلّم قلبها الدرس حقاً؟.

# ١ ـ صرخة في الليل

جففت فيكتوريا نفسها بحركة سريعة رشيقة وارتدت سروالاً من الجينز وكنزة قطنية فضفاضة، فهذا شهر أيار والحرارة تنخفض بحدة في الأمسيات، ولهذا يضطر الناس إلى ارتداء الملابس. لم يبق أمامها إلا تمرير المشط لتنعيم خصلات شعرها الأحمر الأصهب إلى ما وراء وجهها. ستجففه كما ينبغي في الخيمة. ثم جمعت منشفتها وحقيبة الصابون وألقت نظرة إلى ما حولها لتتأكد أنها لم تنس شيئاً، ثم فتحت رتاج الباب المربع الشكل.

كان «الدوش» كرماً غير معتاد لذا أمطت فيه وقتاً أطول مما كانت تنوي فعلمًا خرجت من الكوخ المبني من خشب الصنوبر اكتشفت أن حمرة الغسق قد أصبحت عتمة شديدة. توقفت مرتبكة. هذا المبنى الخشبي موجود في منطقة حرجية، بعيداً عن المجمع الأساسي، وليس قسماً تألفه. كان صمتاً مخيفاً مريكاً قد حل على المكان ولم يكن يقطعه غير زقزقة الطيور وأصوات الحيوانات الصغيرة من وقت إلى آخر. احتاجت إلى بضع لحظات من التوقف لتسمح لعينيها بالتكيف مع الأسوداد الحالك ثم حددت ما حولها وعرفت الممر الذي يقود إلى المخيم.

بعد بضع خطوات في الممر طار خفاش من بين الأشجار

وكان منخفضاً فبدا كأنه سيضربها، ولكنه مرّ من فوق رأسها. والحقيقة أنها أجفلت أكثر مما خافت، مع ذلك صرخت صرخة حادة لم تستطع كبتها. كانت ردة فعل غير إرادية، وما إن مات الصوت على شفتيها حتى توردت وجنتاها حرجاً. لكن في تلك اللحظة تناهى إلى مسمعيها وقع أقدام فوق الممر المرصوف بالحصى، بعد ذلك اقترب طيف رجل ووقف أمامها منتصباً. رفعت ڤيكتوريا يدها إلى شفتيها لتخنق صيحة أخرى. في هذه اللحظة رن صوت الرجل:

ـ اهدئي.. أيتها الحمقاء الصغيرة.

كانت لكنته فرنسية ملؤها الغضب.. في لحظة خاطفة حل السخط مكان الخوف، وأحست ڤيكتوريا بتورد الحرج يتقلب إلى توتر.. من يخال نفسه ليكلمها بهذه الطريقة؟ ولعل ما زاد الأمر سوءاً أنه خاطبها بالإنكليزية وكأنه سمع توبيخها لنفسها.. يا لهذا الحرج!

ما هي إلا خطوتان حتى كان أمامها، يمسك معصمها ويجرها نحو ضوء المبنى.. حاولت ڤيكتوريا أن تنتزع يدها من قبضته ولكن أصابعه كانت قيداً من فولاذ.

ـ لا تصيحي... إنني لا أحاول اغتصابك، لأنني لا أميل إلى تلميذات المدرسة العجاف.

مرت عيناه الحادتان بتقدها النحيل أما هي فكانت تتمتم وتتلوى بسرعة وكأنها سمكة عالقة بشبكة.. وكانت غاضبة.. تلميذة مدرسة عجفاء! كيف يجرؤ على إهانتها ومعاملتها على هذا النحو؟



ما إن وصلا إلى منطقة الحمامات حتى تمكنت من انتزاع معصمها منه. لقد تركها أحست بأنها بلهاء قليلاً مع ذلك أخذت تفرك معصمها بقوة ورفعت بصرها إليه يتحد ممزوج مع شيء من القلق. بدت قسمات وجهه قاتمة مبهمة، ولكن شيئاً لم يخف قوة بنيته.. فطوله يزيد عن ستة أقدام وهو قوي البنية يوحي بأنه رجل بكل ما للكلمة من معنى.. أما ثيابه القاتمة فهي إما كحلية وإما سوداء، وقد زادت وجهه قسوة وإرهاباً..

سألها بقظاظة:

ـ من أنت؟ وماذا تفعلين هنا في مثل هذا الوقت من الليل؟

بعد فظاظته معها لم تتوقع ڤيكتوريا منه المودة.. مع ذلك فاجأتها نبرة صوته الجافة.. قد لا يكون منتصباً ولكنه جلف حقير.

ردت باقتضاب: «أستطيع أن أسألك السؤال ذاته».

ضحك الرجل ضحكة فظة خالية من المرح:

ـ بإمكانك هذا.. ولكنني أنا الذي أسأل وأنا الذي ينتظر الرد.

جعلها تعجرفه وسوء خلقه ترغب في ركل عظمة ساقه، لكن نعتها بتلميذة المدرسة ما يزال يزعجها. لم تحب أن يدعوها أحد بهذا ولا تحب أن تعامل على هذا الأساس.. وهي واثقة أنه لن يدفعها لتتصرف كواحدة. كما أنها لن تقف هنا لترد على أسئلته وكأنها تلميذة مذنبة تقف أمام المدير. ربما لديه أوهام السلطة ولكنها لا تنوي الإذعان لأوهامه.

قالت: «لا شأن لك بهذا وأرفض الوقوف هنا لمناقشة

المسألة.

ارتدت على عقبيها وكأنها بذلك تقفل على الموضوع برمته.

ولكن اليد التي وقعت على كتفها منعتها وجعلتها شدتها تدرك أنه لن يتراجع.

ارتدت إليه: أحقرك.. أستطيع الصراخ بصوت مرتفع جداً.

- أعرف.. لقد سمعتك للتو.

تركها ليدس يده في جيب سرواله: «هيا.. اصرخي!».

اللعنة عليه.. إنه يرد على خدعتها.. إنه يعرف أنهما بعيدان عن مركز المخيم وأن لا أمل لها أن يسمعها أحد.. من هو هذا الرجل؟ وإن كانت نواياه شريرة فماذا تستطيع أن تفعل هنا وهي بعيدة عن مرمى السمع؟ ارتدت عنه... لن تستطيع مقاومته لذا فلتجرب الهرب.

وضع الرجل سرفته على إطار باب المدخل الخشبي المسقوف، ومرر أصابعه في شعره القاتم الأسود بنفاد صبر.. وكأنما حزر ماتفكر فيه.

- اسمعي.. كل ما أريد أن أعرفه من أنت وماذا تفعلين هنا؟

قد يكون الصدق في بعض الأحيان أفضل وسيلة للدفاع.. فلو ردت ببساطة على سؤاله لتركها وشأنها..

قالت من بين أسنان مشدودة:

- لا شأن لك بهذا ومع هذا سأجيب.. أنا واحدة من المشرفين على «المخيم الصيفي».

ألقى عليها نظرة فاحصة دلت على أن كلامه ليس أكثر مديحاً من سابقه.



- مون دبو.. أنتن الفتيات تزددن صغراً كل سنة.. هل أنت واثقة أنك أنهيت دراستك؟

- واثقة كل الثقة.

ألم يسمع هذا الرجل بشيء اسمه اللباقة؟

- الآن، إذا انتهيت..

قاطعها بإصرار: «ماذا تفعلين هنا؟»

هذا كثير..

- أستحم.. هل من اعتراض؟

ضحك فبانت أسنانه البيضاء مستوية واسترخى جفناه بتكاسل.

- أبداً.. لكن لماذا هنا؟ لماذا ليس في أحد الحمامات القريبة من المركز؟

يا إلهي! ماذا يريد هذا الرجل؟ هل وقعت جريمة؟ ضاقت عيناها اللتين أصبحتا شظيتين ملتهبتين من الغضب.

- لأن هذه الحمامات هي الوحيدة التي أعيد وصلها بشبكة المياه.. ولا أدري لماذا بدأ العمال بالقسم البعيد عن المركز.. إنه منطق فرنسي.. اسألهم.

إن سألها سؤالاً واحداً آخر فستصرخ.. ولو من أجل التنفيس عن غيظها.

ولكنه بدا مكتفياً بجوابها.. رأت عضلاته تسترخي تحت السترة التي يرتديها، وفقد وجهه بعضاً من توتره.. بدا لها وكأنه رجل يبتسم كثيراً في الوقت المناسب. لكنها لا تهتم بمزاجه وهي ليست بمزاج يسمح لها بمبادلته دماثة الخلق.

سأل: «لكن لماذا الصراخ؟»

نسيت فيكتوريا كيف بدأ هذا اللقاء: «عفواً؟»

ذكرها بصبر جاف:

ـ لقد صرخت.. ألا تذكرين؟

نطبت محرجة:

ـ أوه.. كان ذلك بسبب خفاش.

رفع حاجبه ساخراً: خفاش.. هه؟

كانت تشعر بالبرودة تتزايد.. فشعرها الرطب ملتصق برأسها وخصلاته الملتفة تسمح لقطرات الماء بالنزول إلى ظهرها من تحت ياقة كنزتها وهذا ما يجعلها ترتجف.. ماذا تفعل هنا؟ ولماذا تقدم التفسير لغريب لا شأن له بها؟

ـ أجل.. خفاش.

ارتدت عنه عازمة الابتعاد عنه.. فلن تتحمل أية إهانة أخرى.. أجابت عن سؤاله وهذا كاف.

لكن الرجل ربا للدهشة سار معها:

ـ سأسير معك لئلا يستهدفك خفاش آخر

أرادت فيكتوريا أن تضربه وأن ترفسه لتتخلص منه.. ولكنها ظلت تحدق أمامها رافضة أن يتغلب عليها مثل هذا التصرف الصبياني. انتزع الرجل سترته ورماها بشكل عفوي على كتفيها ولكنها حاولت نزعها.

ـ ليست ضرورية..

قاطعها بلطف:

ـ لا تكوني حمقاء.. من الواضح أنك تشعرين بالبرد.. وأنا



لا أريد أن تصاب إحدى المشرفات بالتهاب رئوي.

أظهرت السخرية الخفيفة كلامه اهتماماً شخصياً أكثر منه قلقاً، وأمام هذا اللااكتراث تخلت عن المقاومة.

أدفأتها السترة نعلاً، ولكن ما أثر على أحاسيسها هو العطر الرجولي القوي العابق بالسترة. هذا العطر الذي يذكرها بغايلين.. أرادت أن تسرع لتتخلص من الذكرى.. ومن الرجل. فكان أن حثت خطواتها لا إرادياً ولكن الرجل وسع خطوته وبقي يلازمها.. ما إن وصلا إلى المثلث الذي يلتقي فيه الممر بالطريق حتى خلعت السترة بسرعة وأعطتها له شاكرة إياه باختصار.. ثم دون أن تمنحه فرصة الرد ارتدت بسرعة نحو خيمتها.

عندما تسللت أولى أصابع الفجر المتسللة إلى الخيم الخضراء لتحت فيكتوريا عينين ملؤهما النعاس، وتقلبت لتحاول اتخاذ وضعية مريحة نسياً على سرير المخيم الضيق. لكن لا فائدة.. رغم شهر من النوم عليه ما تزال تشعر بالانزعاج منه كما في الليلة الأولى.

كان العمل كمشرفة على المخيم الصيفي فكرة إيما التي عملت هنا في العام الثالث والتي أعجبها العمل إلى درجة أن تقدمت بطلب آخر في العام التالي.. منذ شهرين ما كان ليخطر ببالها الانضمام إلى المخيم. لكن عندما عرضت عليها الفكرة شعرت بأن العمل هنا ضربة حظ لا تصدق.

كسرت المشرفة الأساسية التي كانت تعمل مع إيما ساقها في حادث تزلج، وكانت الشركة منلهفة لإيجاد البديل في وقت قصير.. ومع أن فيكتوريا لا تملك خبرة في هذا المجال فقد

قدمت استقالتها من عملها الأصلي، ورتعت عقداً مع شركة المخيمات الصيفية.

عندما علمت أمها شعرت بالذعر:

ـ قد نقبل فكرة قضاء عطلة ما في مخيم.. أما البقاء هناك ستة أشهر.. حبيبتي.. أنت لا تعرفين على ماذا تقدمين!

عبثاً حاولت الشرح. فأمها لا تقدر أن تفهم ما يجعل ابنتها تترك وظيفة مؤمنة في شركة محاماة عالمية وتستبدلها بحياة غجرية في مخيم. أكل هذا من أجل رجل؟ ولكن ڤيكتوريا لم تتراجع إذ كانت أشبه بحيوان شاهد أمامه فرصة خلاص، فتعلق بها.

رأت إيما من خلال القماش الشفاف الفاصل بين منامتها ومنامة إيما أنها ما تزال نائمة بأمان تحت الغطاء البرتقالي السميك.. تحركت بهدوء لئلا تزعج صديقتها النائمة، وخرجت من كيس النوم متسللة إلى زاوية الخيمة حيث ثيابها التي راحت ترتديها خلسة ثم التقطت حقيبة تيرجها والمنشفة وتحركت بهدوء لتفتح سحاب باب الخيمة المزعج.

كان صباحاً رائعاً بعد يوم مشمس فيه غيوم منثورة كالقطن الأبيض وهي تسبح باسترخاء في السماء وكأنها كرات بيضاء منثوشة على صفحة زرقاء. استندت ڤيكتوريا إلى السياج المار بخيمتها ونظرت إلى الاخضرار المترامي أمامها.. عندما وصلت إلى المخيم لم يكن يزعج هذا المنظر أي مظهر من مظاهر المدينة. كان رمزاً لقلب «الدوردوغان» الريفي، أخضر مترام تحده مناطق حرجية عميقة من السنديان والدردار وقصب الخيزران والزان.. لكن هذه المساحة أصبحت الآن مرقطة بخيم متعددة



الألوان، يحمل العديد منها لوني شركة المخيمات الصيفية الأخضر والأصفر. وثمة خيم أخرى ألوانها مختلفة هي لشركات منافسة.

كان محور الموقع مبنى المزرعة الأصلي القديم الذي تحول إلى مخزن للضروريات في مخيم حديث فيه محلات لبيع الأطعمة ومطاعم، ومقهى، ومرتفق ومصبغة لغسل الثياب ومركز للإسعاف الأولي ومجمع لبرك السباحة.

إلى هذا المركز، توجهت ڤيكتوريا الآن. وبدا المركز كله أشبه بمدينة الأشباح التي تنتظر ساكنيها. ولكنها لن تنتظر طويلاً.. فالخامس عشر من أيار هو يوم الافتتاح الرسمي وهو سيحل بعد أسبوع من الآن.. وهناك دلائل على التحضيرات له.. طلاء جديد، لوحات جديدة، وكل شيء في كل مكان نظيف يزاق.

في غرفة الاغتسال المهجورة، وقفت ڤيكتوريا أمام احدى المغاسل ووضعت حقيبتها ومنشفتها قربها، إنها غرفة كبيرة تحتوي على عشر مغاسل وعلى ستائر تحد كل واحدة منها ليستطيع المرء الحصول على الخلوة التي يريد.. أدارت إحدى حنفيات الماء الباردة لأن المياه الساخنة لم تصل إلى هنا بعد.. هذا الغسل المتقشف كان المنال الوحيد في الشهر الفائت، ولعل هذا ما جعل دوش ليلة أمس رفاهية ممتعة.. أو على الأقل، كان كذلك حتى تدخل ذلك الرجل السوقي الكريه الظل.. تلميذة مدرسة.. حقاً!

توقفت يدها التي كانت تحمل قطعة القماش القطنية قبل أن

تصل إلى وجهها، ونظرت ڤيكتوريا إلى نفسها في المرآة البيضاوية فوق المغسلة بانتقاد.. إنها في الرابعة والعشرين ولكن هل تبدو فعلاً خرقاء إلى هذا الحد؟ غير أنثوية؟ هذا ما أوحت به نظرته.

ردت عليها نظرتها عينان بنيتان عميقتان تحف بهما أهداب سوداء تقيع فوق أنف مرتفع إلى الأعلى بلطف، وشفتان واسعتان مكتنزتان.. لا شيء غير أنوثي هنا.. شعرها.. حسناً.. شعرها مسألة أخرى.. لما زال حتى بعد ستة أسابيع غريباً عليها فطالما كانت الكتلة الحمراء السمراء الطويلة «تاجها المتوهج» وربما هو أكثر معالم الأنوثة فيها.. لكن منذ ستة أسابيع قصته قصيراً قدر المستطاع، وكان دلالة رمزية على بداية جديدة بعد غايڤن. لم يناسبها وهذا ما اعترفت به أخيراً، لكنه بدأ ينمو مجدداً وبدأت الخصلات الناعمة الجعداء تظهر مرة أخرى.. ليلة أمس، بسبب عدم التبرج وبسبب التصاق شعرها برأسها بدت غير ناضجة. قد تعذره لأنه أخطأ.. ولكنها لن تعذره أبداً على تصرفه البغيض.. تحرك أنفها الأنيق بقرف بسبب الذكرى..

في طريق العودة إلى الخيمة سلكت ڤيكتوريا طريقاً مختلفاً.. طريقاً يفضي بها إلى طريق جانبية لأراضي «الشاتو» القصر.. وهو الطريق الذي تفضله والذي تتأمل فيه وهي تسير، المبنى العظيم.. أخذ مخيم طودارد موقعه واسمه من الشاتو ولكن القصر ذاته ظل منفصولاً كلياً فلم يمسّ قط.. تأملت ڤيكتوريا روعته من مرتفع صغير.. إنه مبني من الحجر الأصفر ذاته الذي بنيت منه المزرعة.. ويرتفع ككتلة ذهبية عظيمة، وهو يطل على المناظر الممتدة من كل اتجاهاته، نوافذه النائة وأبراجه الصغيرة وأسهمه



الدوارة باتجاه الريح تضفي عليه هالة من القصص الخرافية الساحرة.. حاولت ڤيكتوريا دوماً تصور تاريخه وأسراره العائلية المستترة وراء جدرانه الشبيهة بجدران الحصون. أخذت عيناها تبحثان عن حركة فيه ولكنها لم تجد شيئاً فعدا البستاني لا ترى أحداً فيه.. من يشغله سؤال أثار فضولها.. وعادت إلى السير مرة أخرى باتجاه الخيمة.

في التاسعة من ذلك الصباح نظرت ڤيكتوريا إلى أدوات الطعام والصحون المتكومة أمامها بانتظار جليها. خمسمئة طبق منها الصحون والفناجين والأكواب، والسكاكين والشوك والملاعق. يا لها من مهمة صعبة! ارتدت قفازين من المطاط البرتقالي البراق ودست يديها في سائل الجلي.

مضى الشهر الأخير كله وهم يتصببون الخيم وكانت شركة المخيمات الصيفية قد وظفت فريقاً خاصاً للسفر إلى كل مواقع التخييم في أوروبا خلال شهري نيسان وأيار وكانوا ينصبون ما بين خمسين ومئة خيمة في كل موقع يساعدهم على ذلك المشرفون. في بداية الشهر لم تكن ڤيكتوريا تعرف طرف خيمة من طرفها الآخر، ولكن مع نهايته أحست أنها قادرة على نصبها وهي نائمة.

وقت الغداء ظهرت إيما في الباب تحمل خبزاً مستطيلاً وجبناً وقالت مبتسمة:

ـ أعتقدت أنك أنهيت بعض الأطباق والسكاكين.

نظرت بقلق إلى برج الأطباق المضطرد في الارتفاع.

وافقت ڤيكتوريا وهي تبتسم:

ـ على وشك.

انتزعت قفازيها المطاطين وخرجتا وهناك جلستا على مقعد
ـبي منسغ وقطعتا الخبز والجبن.. إنها وجبة بدائية، مع ذلك
ـب شهية.. لماذا يلذ للإنسان تناول الطعام في الهواء الطلق؟
قالت ڤيكتوريا وهي تأكل: «كيف الحال مع فُرش الهواء؟»
رفعت إيما عينيها إلى السماء برعب:
ـ لا تسألي.. إنها تنفخ بسرعة حتى عندما تنفخها بالمنفخ
ـي يعمل بواسطة القدم.. أعتقد أن علينا أن نقول للزوار إنها
ـلة عمل ونتركهم ينتخون الفراش بأنفسهم.
قهقهت ڤيكتوريا وهي تتصور تعابير وجه الناس وهم يقومون
ـخ فرشهم.. لقد كانت إيما طيبة معها في الأسابيع الأخيرة
ـه.. فقد ساهمت دماثة أخلاقها وروحها الفكاهية في مساعدتها
ـى نسيان غايلن.. ولكن هل نسيته حقاً.. هل يمكن لأحد حقاً
ـنسى شخصاً أحبه بقوة ولكنه لم يحبه بالمقابل؟
أشارت إلى المغسلة وسألت:
ـ ماذا عليّ أن أفعل؟
قالت إيما وهي تهز رأسها بوقار مبالغ فيه:
ـ لا تسألي.. أمامنا معدات نفحصها.. هناك صناديق التبريد
ـطاولات والكراسي، وأمكنة شوي اللحم هذا عدا أشياء صغيرة
ـرى. لكن.. يجب أن يكون كل شيء على ما يرام.. يجب أن
ـي نظرة على كل شيء قبل وضعه في المستودع في نهاية فصل
ـخيم، وعلى الأدوات أن تكون في حالة جيدة في ذاك الوقت.
رفعت ڤيكتوريا حاجبيها بسخرية فهي تعرف الهوة الواسعة بين
ـظريات والواقع ولكن لا شك أن كل شيء سيكون سليماً حتى



السبت. عندما استلقت على العشب أغمضت عينيها، فشعرت بالشمس كالبلسم على جفنيها، ما أسهل أن يجرفها النوم فتنسى كل شيء عن التحضيرات وتشعر بأنها مجرد زائرة أتت إلى هنا للاسترخاء والاستمتاع.. ولكن إيما التي أطلقت صفير إعجاب جعلتها تفتح عينيها متسائلة.

تمتمت إيما بإعجاب: «ليس سيئاً أبداً».

رفعت ڤيكتوريا نفسها على مرفقيها ونظرت إلى الجهة التي تحدق إليها إيما.. فإذا سيارة مكشوفة زجاجها ملون تسير على مهل على الطريق.

تمتمت ڤيكتوريا بعدم اكتراث: «سيارة جميلة».

وعادت إلى الاستلقاء فوق العشب، وقالت إيما بتركيز مقصود:

ـ ومالكها أجمل منها.

تساءلت ڤيكتوريا إن كان بصرها قد ضعف أم أن لدى إيما نظر ثاقب كأشعة اكس، لأنها لم تتمكن من رؤية شيء من الزجاج الملون.. فسألت باستغراب: «وكيف عرفت؟»

قالت إيما بشيء من الرضى:

ـ أعرف هذه السيارة أينما كانت.. إنها ملك الكونت غودارد.

استدعت هذه المعلومات رد اهتمام:

ـ من؟ تقصدين مالك «الشاتو»؟

ـ الشاتو وموقع المخيم معاً.. لا بد أنه هنا لقضاء فصل الصيف.

جلست ڤيكتوريا.. ولكن السيارة اختفت عن الأنظار..
ن، للقصر مالك..

تساءلت: «كيف شكله؟»

تصورته لورداً إنكليزياً ريفياً يحمل بندقية صيد ويرتدي ثياباً
ن «التويد».

ـ رائع، أعزب، ومرغوب..

وهذا ما محا من رأس ڤيكتوريا الصورة التي رسمتها. ردت
آ مبهماً: «آه!»

لقد اكتفت بعد غايفن من خفقان القلب ومن العواطف ما
قيها العمر كله.. لا بأس بهذا كله حين يحصل المرء على تلك
لحظات القصيرة من السعادة.. ولكنها تمر كالجحيم حين يهبط
مرء إلى الواقع.

حاولت تغيير دفّة الموضوع: أليس من الأفضل أن نعود إلى
عمل؟

ـ أعتقد أنك على حق.. لن نترك النزلاء ينامون على الأرض
أكلون بأصابعهم.

ما إن عادتا إلى خيمتهما حتى وجدتا ورقة تحت باب
خيمة. كانت دعوة من مدير الموقع يدعوهما فيها هما وسائر
مشرفين للانضمام إليه وإلى الكونت في مقهى المجمّع ذلك
مساء.

تنهدت ڤيكتوريا لأنها كانت تتطلع شوقاً إلى حمام ساخن
ر إنما على أمل ألا تلتقي الغريب الفظ هذه المرة.

سألت وكأنما تعترض: «هل يجب أن نذهب؟»



أكّدت تعابير وجه إيما المصدومة الرد:

ـ يجب أن نذهب بالتأكيد.. فالكونت يتوقع حضورنا..
وسيكون تصرفاً مشيناً عدم الانضمام إليهم.. كما أنك تريدين
مقابلته.. أليس كذلك؟

إنها لا تعرف شيئاً عن الكونت، وما تعرفه لم يرق لها. ربما
أشعرها ما قام به غايفن بالاشمئزاز تجاه جميع الرجال وعلى
الأخص منهم الأعزب الجذاب المرغوب فيه. لكن مهما كانت
مشاعرها تجاه الرجال عليها الذهاب. والكونت هو مالك الموقع
ولن يكون من اللباقة أن تهينه برفض دعوته.

قالت: «أنت على حق فمن الفظاظة عدم الذهاب».

ارتسمت الراحة على وجه إيما التي توجهت إلى العمل
وتذكرها متصب على ما يجب عليها ارتداؤه.

ـ آه! يا إلهي! ليس لدي ملابس ملائمة.. كل أثوابي مجعدة
وليس لدي سروال نظيف.

نظرت إليها ڤيكتوريا بدهشة:

ـ ولماذا هذه الضجة؟ إنه لقاء غير رسمي وليس حفلاً راقصاً.

ـ لم تلتق به.

هي تقصد الكونت بالتأكيد لأن مدير الموقع المترهل الشكل
الكبير قليلاً وسنه المتوسط لن يدفع قلب الفتاة إلى الخفقان على
هذا النحو.. لكن ڤيكتوريا لم تتأثر كثيراً بالدعوة.. فماذا يتوقع
الرجل ممن يعيش في خيمة، وليس لديه غسالة آلية ولا مكواة منذ
شهر.. سحبت جينزاً أبيض اللون متوسط الطول، وتيشرت
مخطط بالأبيض والأزرق. ثم اختارت سترة قطنية قصيرة

ووضعتها على كتفيها، فجأة توقفت إيما التي كانت تبحث بين ثيابها ونظرت إلى جسم ڤيكتوريا بشيء من الحسد:

- لماذا لا تؤثر الكرواسان بالزبدة على جسمك؟

انحنت ڤيكتوريا وانتعلت خفاً منخفض الكعبين.

- اتهمت ليلة أمس بأنني عجفاء. . وهذا ليس مريحاً.

ارتدت إيما إلى حقيبة ثيابها مرة أخرى وتمتمت:

- يا للرجال. . لا يرضيهم شيء. . لماذا نزعج أنفسنا؟

هذا ما كانت تطرحه ڤيكتوريا على نفسها مؤخراً، ولكنها لم تتمكن من إيجاد رد عليه. أما إيما فبدت قانعة بترك السؤال النظري معلقاً بدون رد وتابعت البحث بين ثيابها.

بدلت ثيابها عدة مرات واختارت أخيراً تنورة قطنية مخططة لأن القماش سيبدو وكأنه مصنوع ليكون مجعداً، وتيشيرت بحاجة نعلاً إلى الكوي، ولكن التجاعيد اختفت عندما تمددت على جسد إيما.

ضحكت إيما تلخر بمكر:

- إنها إحدى ميزات التيشيرت الصغير الحجم.

ولم تجرؤ ڤيكتوريا أن تسألها عن الميزات الأخرى.

* * *



## ٢ ـ فكتوريا التي لا تُمس

إنها فرصتهما الأولى لزيارة المقهى. . ولكنه كسائر الأماكن الأخرى مغطى بملاءات شتوية لاتقاء الغبار، ومقفل النوافذ. . بدا نظيفاً براقاً استعداداً لموسم الصيف. . بعدما تحول المكان إلى مقهى بدا دافئاً بسبب الإضاءة الخافتة وبسبب المقاعد المرتبة في تجاويف الجدران.

استقبلهما عند المدخل مدير الموقع الذي بدا مبهرجاً كالموقع عينه فهو يرتدي بذلة جديدة مشدودة عند الخصر. ابتسمت ڤيكتوريا للمسات الأناقة التافهة الصغيرة، فهو رجل لطيف مساعد وودود. .

ثبتت بطاقة فيها اسمها على قميصها وتقدمت إلى وسط المكان.

كان هناك حوالى عشرين شخصاً بعضهم عمال مياومون وآخرون مشرفون من شركات سياحية منافسة. . إن التنافس واضح بين أرباب العمل ولكن هذا التنافس غير ظاهر أبداً على المشرفين فيما بينهم. . ثمة صحبة وصداقة فيما بينهم، فمعظمهم أكثر من مستعد لتقديم يد المساعدة في الأوقات الصعبة.

بعدما جلبت كوباً من عصير الفاكهة لها ولإيما توجهت هذه

الأخيرة لتنضم إلى روبن وجيل اللذين يناماَن في خيمة مجاورة لخيمتهما. أما فيكتوريا فتعمدت الوقوف مع بيتر وجوليا وكانت فيكتوريا قد لاحظت أنهما الأقل تقارباً وعلى الأخص منهما بيتر. وهو سبق أن عمل في السنة السابقة في هذا الموقع ويميل إلى الاستقلالية والتحفظ. لكن فيكتوريا أحبت جوليا وأحست أنها تشعر أحياناً بازدواج الولاء، تريد دعم بيتر لأنهما يعملان معاً، مع ذلك تتمتع بعفوية سائر المشرفين وتريد مصادقتهم.

سألت جوليا بفضول:

ـ تلقيت أنت أيضاً استدعاء رسمياً؟ هل الكونت هنا؟

نظر بيتر حوله: «لا».

جعلهما الرد المختصر لا يمضون أكثر بالحديث. تحركت جوليا بقلق ونظرت إلى كوب العصير في يدها.

حاولت فيكتوريا مرة أخرى: «هل أنتما مستعدان لاستقبال أول الوافدين من الزوار؟»

رد بيتر بجفاء: تقريباً.

سألت جوليا التي شعرت ببرود بيتر وحاولت التعويض:

ـ وماذا عنكما؟

ردت فيكتوريا: فلنقل إنني لا أريد رؤية طبق بلاستيكي مدة أسبوع على الأقل. وتقول إيما إنها نفخت فرش الهواء اليوم حتى أصبحت ترفع قدمها وتنزلها وهي نائمة.

ضحكت جوليا ولكن بيتر حافظ على صرامته، وكأنه سينشق إن ابتسم.

ارتشفت فيكتوريا ما تبقى في كأسها، وهمّت بالاعتذار لتنضم



إلى الآخرين ولكن بيتر سبقها إلى هذا.

ـ إن لم يكن لديك مانع. لدي ما هو خاص لأبحثه مع جوليا على انفراد.

ابتسمت فيكتوريا برقة:

ـ أبداً. أتفهم هذه التلميحات خاصة إذا كانت ثقيلة هكذا.

أحست بالرضى عندما رأت وجه بيتر يتورد لكن وجه جوليا اصطبغ باللون القرمزي. يا للمسكينة. فكرت فيكتوريا وهي ترتد عنهما أنها لا تحسدها أبداً على العمل معه طوال الصيف.

أقيمت مائدة مفتوحة في زاوية المكان تجمع حولها المشرفون وهناك راحت فيكتوريا تتبادل الأحاديث معهم بسرور بعد فظاظة بيتر ووقاحته. تناولت قطعة مستطيلة كالإصبع وراحت تلوكها بين أسنانها ولكنها لم تكن تشبه في طعمها النكهة التي توقعتها. وعندما بدأت صور الضفادع تطوف في مخيلتها سارعت إلى تناول كوب عصير آخر لتنسى طعمها.

صدحت في الجو أغنية فرنسية عاطفية شهيرة. كانت أغنية غايفن المفضلة لذا شعرت بالألم في قلبها ووثبت الدموع إلى عينيها. لطالما أصغت هي وغايفن إلى الموسيقى وضحكا بحب. هذا كان عندما ظنت أنه سيكون جزءاً من حياتها وأنه سيملأ غدها. لماذا لم يدم هذا إلى الأبد؟

ابتسمت ابتسامة متوترة وقهقهت استجابة إلى نكتة قالها روبن، ثم تحركت بسرعة متعمدة قبل أن يكتشف زيف ادعائها أحد.

دنت من الجدار لتتأمل إحدى الصور وراحت تحدق إليها عبر

الدموع التي تظلل مآقيها. . ثم ارتدت مدعوشة مصدومة لأنها سمعت صوتاً سرعان ما تعرفت إليه.

ـ مساء الخير.

إنها اللكنة الفرنسية ذاتها.

آه! لا! إنه رجل الأمس. . وقد جاء في أسوأ الأوقات.

ردت باختصار: «مساء الخير». ثم وجهت بصرها من جديد إلى الصورة وحاولت إخفاء الدموع المترقرقة في مآقيها.

ـ أتحبين الصور القديمة؟

هزت ڤيكتوريا رأسها بحدة ولم تلتفت إليه «إنها تسحرني».

وأملت أن يعبّر صوتها عن رغبتها في العزلة.

يا له من أمل واه! لكلماته التالية كانت مرعبة لها:

ـ ربما تستطيعين دراستها أكثر لو لم تكن مقلوبة.

ـ عفواً.

لم تفهم ما يعنيه ثم راحت تنقل بصرها من الصورة إليه. . فرآته يمد يده ليتنزع الصورة من مكانها ويقلبها رأساً على عقب. . الواضح أن أحدهم علق الصورة مقلوبة في خضم السرعة والأنكى أنها لم تلاحظ هذا.

أردف الرجل: «أم لعلها هواية إنكليزية لا أعرف عنها شيئاً. . دراسة الصورة المقلوبة؟»

ثم يحاول في هذه المرة إخفاء سخريته.

ارتشفت ڤيكتوريا يأساً قليلاً من العصير. . ثم قالت بصوت متكاسل خانع:

ـ على ما يبدو أنا بحاجة إلى نظارات.



كان المرح في صوته واضحاً ولكنه لم يكن خالياً من اللطف وللمرة الأولى تجرأت على النظر إليه مباشرة، خاصة وبصرها غير مغشي بالدموع. . رأت قسمات وجهه التي أنارها المصباح فإذا وجهه قاس. . ذقن مربع، وشفتان واضحتا المعالم وأنف مستقيم. لكن عينيه خضراوان بشكل غير عادي وهما تزيلان الخشونة عنه. أما شعره فلم يكن أسود كما ظنت بل هو بلون خشب الماهوغوني الأحمر وهو يكاد يلامس ياقته ولكنه ليس طويلاً ولا قصيراً. ترى كم عمره. . أهو في الثالثة أو الرابعة والثلاثين؟

لم تُعجبها طريقة تفرسه بها. . كانت نظرته ممعنة وعميقة.

بدأت عيناه تنزلان ببطء متعمد تقومان قدها الرشيق باهتمام مبالغ فيه. . فكرت ڤيكتوريا ملياً في دمي العصير في وجهه، ولكن التعقل فاز أخيراً فقضلت ارتشافه على رميه في وجهه الوقح. عندما عادت عيناه إلى عينيها كان فيهما اعتراف صامت بأن نعتها بتلميذة المدرسة هو أبعد ما يكون عن الواقع وهذا ما أشعرها بالرضى.

عندما عادت عيناه إلى افتراسها في مكان محدد فكرت إن كانت اللحظة قد حانت لصفعه، ولكنها لاحظت أنه كان يقرأ البطاقة المعلقة على صدرها فتمالكت نفسها.

ـ ڤيكتوريا ترايد.

لفظ الاسم بطريقة فرنسية صرفة، ثم أضاف:

ـ اسم إنكليزي بحت.

أحست ڤيكتوريا برغبة في ضربه، ولكنها سألت برقة:

ـ وما اسمك؟

ـ نيقيل.

ابتسمت ببراءة متعمدة:

ـ إنه اسم فرنسي بحت.

ضحك الرجل الذي لا تتصور أن اسمه «نيقيل» أبداً.. وقال:

ـ أصبت الهدف.. أم فلنقل إنك حساسة جداً؟

ردت بحزم: «أصبت الهدف».

ـ أنت إذن لست حساسة؟

اللعنة عليه وعلى إنكليزيته السلسة: أبداً.

لا شأن له بما نشعر به.. ولكن ألم يكن هذا هو شعورها عندما طرح عليها تلك الأسئلة ليلة أمس، أو لم يلح في طرح السؤال حتى صوّر الأمر وكأنه شأن من شؤونه؟ لن تسمح للأمر ذاته أن يتكرر.. تحركت بخفة مشيرة إلى أنها ترغب في الانضمام إلى الآخرين.. لكن بدل أن يتنحى جانباً استند إلى أحد الفواصل ما بين الفجوات في الجدار ليسد عليها الطريق، ووجدت أن تقاربهما سيزداد إن حاولت القيام بتجاوزه.

ابتسم بإهمال:

ـ هذا جيد.. اعتقدت أنك غاضبة بسبب لقاء ليلة أمس.

فتحت عينيها على مداهما بسخرية:

ـ حقاً؟ ولماذا أغضب؟ فأنت لم تقم إلا بالصراخ في وجهي والاستقواء علي ومعاملتي بفظاظة! فلماذا أنزعج؟

ـ كان لي أسبابي.

ـ وسأكون مسرورة لسماعها.. لأنني أكره أن أفكر أنك قمت



بذلك من قبيل التسلية.

قهقه عالياً وراحت عيناه تطوفان بها باهتمام ومكر:

ـ التسلية.. لم أسمع بمثل هذا التعبير منذ زمن بعيد. لا، آنسة ترايد، أنا بكل تأكيد لم أقم بذلك من قبيل التسلية.

غيّر تركيزه على الكلمات دقة الحديث فنظرت إلى وجهه بتململ:

ـ طمأنني كلامك هذا.

لم تكن واثقة الآن وهي تتبادل معه هذا الكلام المزدوج المعاني ما إذا كان عليها أن تغضب أم تتسلى.. ولكنها جارته في لعبته..

قال ضاحكاً: «يجب أن أعترف أن صرختك كانت عالية جداً.. ولربما أرعبت المخلوق المسكين حتى الموت».

هزت كتفيها: كنت أتمرن فقط خشية أن يطالعني في الجوار ما هو مخيف فعلاً.. كالذئاب مثلاً.

ـ ألا تعرفين أن لا وجود للذئاب البرية في الوقت الحالي؟

ابتسمت فيكتوريا بمكر:

ـ ومن قال إنني أشير إلى هذا النوع من الحيوانات؟

رد الرجل الابتسامة بتكاسل:

ـ بعد تلك الصرخة، آمنت أن كلا النوعين سيأخذ حذره منك.

لم تجد في هذه الملاحظة مدحاً. مع ذلك ابتسمت: «شكراً لك».

ـ إذن لست من المعجبات بالذئاب.. أو الرجال؟

إن الحديث يتخذ اتجاهاً مزعجاً وهذا ما أقلقها، فهي لا تحب أن تشعر أنها غير مسيطرة على موقف ما.. ويبدو أن هذا الرجل لا يعجبه ذلك أيضاً.

أجابت بغموض وابتسامة تتلاعب بشفتيها:

- لا أمانع بوجودهم في حديقة الحيوانات.

قد يكون التلاعب بالمعاني تسلية مرحة، ما دام بعيداً عن الشخصيات.. وهو أمر افتقدته مع غايفن، هذا عدا عن شيء آخر.. هما شخصان ذكيان.. كانا يتناقشان ويتباحثان في كل شيء بدءاً من القوة الذرية إلى أطفال الأنابيب وقد ظنت أن هذا دليل على تقاربهما.. فلماذا لم يعتقد غايفن هذا أيضاً؟

- عفواً؟

ردها صوت الرجل إلى حاضرها، فهزت رأسها بنفاد صبر لتصرف عن فكرها صورة غايفن.

أكمل والابتسامة على شفتيه:

- قلت هل هذا ما يفعله عالم الأناث.. يضعننا في أقفاص؟

طافت عينا فيكتوريا مجدداً بجسده القوي.. يصعب عليها أن تفهم ما الذي يسليه.. هل من امرأة قادرة على وضعه في قفص رغماً عنه؟

تمتمت وأفكارها تتجه مجدداً إلى غايفن.

- بعضهن فقط.

كان هذا ما قاله غايفن في مقابلتهما الأخيرة.. أنت تريدين أن تقيديني، أن تربطيني.. لن أكون لك. لا.. لا يمكن لأحد أن يحتجز الناس.. يجب أن تتركه يذهب.



أحست بالرجل يراقبها وعلى وجهه تعابير:

- بعض الناس يبنون الأقفاص من حولهم لإبعاد ما يخافونه عنهم.

برقت العينان البنيتان بتحد.. ماذا يحاول أن يقول؟ إنه يحوّل اتجاهه إلى منحى شخصي. لقد أوضح أن شؤونه الخاصة شيء خاص به، فلماذا يعتقد أنه قادر على التطفل في شؤونها؟

قالت والسخرية في صوتها كحد السكين:

- إن هذه ملاحظة مثيرة للاهتمام.. لم أدرك أن علم النفس هو إحدى هواياتك.

ردّ برقة: ليست هكذا.. لكن لا يحتاج المرء أن يكون عالماً نفسياً ليرى أنك تنتفضين كالقنفذ.. انظري.

لامس ذراعها فجأة بأصابعه فأجفلت وكأنه ضربها.

- هل رأيت؟

لولا وجودهما في مكان عام لصفعته.. لكن بسبب تواجدهما هنا أطبقت يدها على كوبها حتى ابيضت عقد أناملها.. ولعل أكثر ما أغضبها أن ترى أصابعه تداعب بشرتها.. كانت غاضبة أكثر من الأمس.. ففي الأمس تصرف بشكل عفوي.. أما الآن فلمسته ترمي إلى الإثارة والاستفزاز بشكل متعمد، وكأنما هي جزء من اختبار علمي. همست بحنق:

- كيف تجرؤ؟ ما الذي يعطيك الحق لتكون على هذه الدرجة من الوقاحة؟ لست كتلة لحم على رف جزار.. في المستقبل أفضل أن تبعد يديك عني وأن تحتفظ بآرائك لنفسك.

قست قسمات وجه الرجل وأصبحت كتلة قاسية لا تلين.



www.rewity.com

وأصبحت عيناه لفظ الشيء المتحرك الوحيد في وجهه.

ـ ماذا قلت عن الحساسية؟ أنت لست حساسة، بل مغطاة بالمسامير.. لو كنت بمكانك لغيرت البطاقة التي تحمل اسمي، إلى اسم أكثر ملاءمة، مثل ڤيكتوريا التي لا تحس.

عندما تحركت ڤيكتوريا في هذه المرة تعمد الرجل إفساح الطريق لها، وكأنما يريد عملياً أن يظهر قوة كلماته الأخيرة.. ابتعدت عنه شامخة الرأس متأنية الخطى، مع أن كل غريزة بدائية فيها تحثها على وضع أكبر مسافة بينهما.

كانت إيما في الطرف الآخر من القاعة تشير إليها بقوة فاتجهت ڤيكتوريا نحوها، وسألتها حالما وصلت: ما الأمر؟

لوحت إيما بيدها بطبق ورقي:

ـ كنت أحاول أن ألفت نظرك.. هل تعرفين..

في تلك اللحظة تعالى صوت دقات مرتفعة في الطرف الآخر من القاعة، ونادى المدير:

ـ يعرف بعضكم الكونت غودارد.. ولكني أقدم للوافدين الجدد هذه السنة الكونت غودارد.

شق طيف قاتم طريقه إلى حيث يقف المدير فشهقت ڤيكتوريا بصوت أجش حالما تعرفت إليه. آه! لا! ليس الكونت نيڤيل غودارد..؟

لم تؤثر خطبته القصيرة كثيراً في ڤيكتوريا التي لم تسمع شيئاً منها في خضم الأفكار التي كانت تدور في عقلها.. ماذا سيحدث الآن؟ هل ستطرد كتلميذة مشاكسة لأنها أهانت المدير بكلامها؟ هل سترسل إلى المنزل بطرد خشن؟ لا تكوني سخيفة.. ليس



لديه السلطة ليصرفك.. أنت موظفة في شركة المخيمات الصيفية، وما دمت تحسنين القيام بعملك فلن تكون له سلطة عليك. وماذا يهم؟ سمعته يلقي كلمات الترحيب والتشجيع على الوافدين الجدد ولكن هل ينطبق هذا عليها؟.. فلا شك أنها الوحيدة بين المشرفين من تمكنت من إغضاب المالك وإثارة عدائه. ليس مرة واحدة.. بل مرتين في غضون أربع وعشرين ساعة.. والواقع أن الأمر كان متبادلاً ويبدو أنه غير هام في هذه اللحظات.

* * *

## ٣ ـ غلطتها الثانية

وصلت الدفعة الأولى من الزوار يوم السبت. عندئذ لم تعد تجد الوقت للتفكير فقد انشغلت باقتياد الناس إلى خيمهم وراحت تشرح لهم أين يمكنهم إيجاد التسهيلات وكانت ترد على نهر من الأسئلة والاستفسارات.

مع نهاية هذا اليوم شعرت ڤيكتوريا بالإرهاق، وبدا كأن رأسها وجسمها مشدودان في اتجاهات عدة. عندما ارتمت على مقعد خارج الخيمة نظرت إليها إيما بشفقة.

ـ اليوم الأول هو الأسوأ دائماً ففيه يصل الناس وهم يشعرون بالحماس فيبدؤون بطرح الأسئلة دفعة واحدة، وعلى المرشد أو المرشدة أن يجترح المعجزات لكل الأسئلة.

لم تشعر ڤيكتوريا بأنها تجترح معجزات.. بل الواقع أنها شعرت بالحاجة إلى معجزة.. فمنذ اكتشافها أن تيقبل هو مالك موقع المخيم وهي تتأرجح بين القلق على الوظيفة وبين عدم الاكتراث بما قد يحدث. على أي حال، هناك طرق عديدة قد تؤدي إلى الطرد من العمل! توقعت أن يحاول النقدم نحوها لمطالبتها باعتذار.. أو لمطالبتها بالاستقالة! لكنها لم تر له وجهاً ولم تتلق منه شيئاً.. جعلها الارتباك تشعر بالسوء وأحست بأن



سيفاً مسلطاً على عنقها طوال ذلك الأسبوع.. أما الآن بعد مرور الوقت فتأكدت أنه لن يتخذ موقفاً منها ولكن الشك رغم كل ذلك لم يفارقها، وبعد هذا اليوم المرهق شعرت بأن عواطفها استنزفت.

تقياً، كان يوم الأحد يوماً هادئاً. فما إن سلمت صناديق البريد وأكياس الثلج، وصحف إنكليزية حتى انتهى دوامها نظرياً.. ولكن دوامها لم ينته عملياً فلأنه الأحد الأول في الموسم ألقي على عاتقها حمل كبير من المهمات الصغيرة التي عليها معالجتها.

وقت الغداء راحت إيما تتذمر:

ـ سأجلس ساعتين.. وأتصحك بحلو حلدي. لماذا لا تأتين معي إلى بلدة «سارلات»؟

أدركت ڤيكتوريا منطق الاقتراح ولكن لم تعجبها فكرة الاختلاط بالسواح.

ـ شكراً للعرض، لكنني ذاهبة لأتمشى عوضاً عن هذا.

هزت إيما كتفيها غير مهتمة بالرفض فقد عرض عليها روين أن يرافقها وهي لن تعترض على الفكرة.

ما إن غادرت إيما حتى ارتدت ڤيكتوريا سروالاً قصيراً وخفاً خفيفاً. تحسن الطقس كثيراً وهذا السروال الكحلي يشعرها بالحرية. حملت كتاباً ونظارة شمس وسائلاً واقياً من الشمس وضعته في حقيبة من القماش، وانطلقت نحو البحيرة التي تبعد حوالى ميل عن موقع المخيم، وهي على الأرجح أهدأ المناطق اليوم.

في الطريق إلى الاسطبلات ألقت نظرة على الاسطبلات التي تضم بين دفتيها نصف دزينة من الجياد والأفراس على مختلف الأحجام. ولكن أكثر ما أشعرها بالحبور وجود كلبة صيد وجرائها التي تحتل إحدى الزرائب.. ابتسمت ڤيكتوريا بسرور وهي ترى الجراء تتصارع فيما بينها، وهي تسير على قوائم ضعيفة مرتجفة.

كانت غارقة بمراقبة المنظر حين أحست بوجود شخص آخر إلى جانبها. نظرت إلى جانبها فرأت صبياً صغيراً في السابعة من عمره يحاول النظر عبر شق في الباب.. تعاطفت معه فراحت تبحث حتى وجدت صندوقاً خشبياً قديماً حملته إلى الباب ليقف عليه. رفع الصبي بحبور رأسه فوق الباب وضحك بسعادة مطلقة وهو يراقب الجراء تلعب.

عدتها ضحكته فوجدت ڤيكتوريا نفسها تبتسم.. سأل بوجهه مشرق بالفرنسية:

ـ إنها صغيرة جداً.. تيس يا؟ أليس كذلك؟

أجابته ڤيكتوريا:

ـ وي.. تري مبني.. صغيرة جداً.. وهي مدللة كثيراً ومتعلقة بأمها، أنظر إلى الأم.

ضحك الصبي للصورة التي رسمتها ڤيكتوريا، عن الأم التي كانت تنظر إلى جرائها العابثة نظرة وقار.

بعد دقائق، تركته ڤيكتوريا غارقاً في مراقبتها وراحت تلقي نظرة على الجياد.. دنا منها جواد راح يشم بلوزتها القطنية الوردية الذي باهتمام. في هذا الوقت سمعت باباً يُقفل بهدوء في مكان قريب فنظرت حولها، فرأت الصبي يحمل ما يشبه هرة بيضاء بين



ذراعيه.. ثم رأته يتوارى.. وكضت وراءه ولم تتوقف إلا لإقفال باب الاسطبل خشية أن يخرج منها سائر الجراء.

صاحت بالفرنسية: «توقف».

لكن الصبي لم يرد عليها بل راح يعدو نحو البستان خلف الفناء فركضت ڤيكتوريا خلفه، وسرعان ما اقتربت منه.. أدار رأسه بسرعة، ولما أدرك أنها توشك أن تقبض عليه اتخذ قراراً سريعاً وتخلص من حمله بدل أن يتلفى العقاب، انحنى إلى الأسفل وتخلى عن الجرو، ثم ركض بأسرع ما ساعدته على ذلك ساقاه الصغيرتان.

عرفت ڤيكتوريا أن بمقدورها اللحاق به والقبض عليه بسهولة ولكن اهتمامها انصب على الجرو الذي تعثر ثم ركض متهادياً إنما ليس باتجاه البستان بل باتجاه البوابة التي تفضي إلى الحديقة الخاصة المسوّرة، التابعة للقصر. ودفع الجرو جسمه الصغير السمين من بين القضبان الخشبية، واختفى.

ترددت ڤيكتوريا أمام البوابة.. فاليافطة الموضوعة على البوابة تقول بوضوح «خاص» وبأربع لغات مختلفة.. ولكنه أمر طارىء وحتى تجد من لديه السلطة على إدخالها قد يكون الجرو قد اختفى إلى الأبد. أسرعت تتسلق البوابة على أمل أن تجد الجرو بسرعة وتخرج قبل أن يلاحظ وجودهما أحد.

لم تجد أثراً للجرو على المرجة الخضراء الواسعة، ونكرت أنه لجأ إلى احدى مساكب الزهور أو إلى الشجيرات الشائكة الملتصقة بالجدار فانحنت على يديها وركبتيها، وأخذت تصدر أصواتاً بلسانها على أمل أن تكون شبيهة بعواء الجرو.

كانت تركز على ما تفعل لذا لم تر الشخص الذي كان يقطع المرج باتجاهها ولم تنتبه إليه حتى وقع ظله على وجهها وطالبها بصوت فظ:

ـ ألا تدركين أنها أرض...؟

ارتدت وهي جالية فرفعت نظرها إلى وجه لم تتمنَّ قط رؤيته في هذه اللحظات.

أضاف: آه! هذه أنت مجدداً.

لم تستطع ڤيكتوريا أن تقرر ما إذا كان غاضباً أم مذعناً.. ثم أضاف بلهجة ساخرة:

ـ إذا كنت ساجدة للعبادة فاتجاهك خاطىء.

تمتمت: «ماذا.. أوه.. آه».

فهمت ما يقصده فجلست... كان يضع على عينيه نظارة شمسية سوداء تخفي عينيه أما هي فكان وجهها في مقابل الشمس.. هل تأخذ نظارتها من حقيبتها وتضعها على عينيها؟

أضاف وهو يشير إلى ركوعها على الأرض:

ـ هل من خفاش آخر تعرض لك؟

أدركت ڤيكتوريا الجانب الساخر في الموقف فكادت تضحك، لكنها قاومت النهور.. إنها لا تريد أن ترى في هذا الرجل شيئاً سلبياً.

ـ لا.. جرو..

ـ جراء طائرة؟

وارتفع حاجبه استهزاء فصاحت:

ـ لا تكن سخيفاً! أحد صبي صغير أحد الجراء من الاسطبل



وعندما لحقت به رماه.. ولكن هذا الجرو دخل إلى هنا.

كانت عيناها تجوبان الحديقة بيأس بحثاً عن دليل على صدق قصتها.

عادت تنظر إليه فلم تستطع أن ترى عينيه.. لكن تعابير وجهه دلت على ريبته وشكه في كلامها.

جثت مجدداً وأصدرت عواء، وما هي إلا لحظة حتى جثا إلى جانبها.

ـ أواثقة أنه دخل إلى هنا؟

هزت رأسها بسرعة:

ـ أجل.. لم أجده على المرج، إذن لا شك أنه مختبىء بين العشب.

بينما كانت يداه تبعدان النباتات والشجيرات علمت أنه صدق قصتها ولكنها لم ترحب بقربه المفاجىء منها لقد أخذ إحساسها بقربه يتلاعب بمشاعرها ويلهيها ويوترها في آن.. ابتعدت قليلاً عنه خلسة لأنها لا تريد أن تشعر بالتسلية معه.. ولا تريد أن تحس به.. على الأخص بهذه الطريقة.

ما إن بدأت تفكر في الجرو حتى تصاعد نباح صغير من وسط مسكبة الورد. لم تهتم بالأشواك التي هاجمت ذراعها بل مدت يدها نحو مصدر الصوت وراحت تبحث بأصابعها حتى التقطت شيئاً صغيراً، أمسكته من أعلى عنقه وسحبته بلطف واحتضنته بين ذراعيها وهي تقف.

ارتجف الجرو وأصدر أنيناً ناعماً.. ولكنه بدا مطمئناً إلى لمسات أصابعها.. بعد لحظة رأت بقع الدم على قميصها وذراعها

الكونت كذلك فأسرع يقلب الجرو ليتفحصه.. فرأى أن الدم قادم من قائمته.

رفعت ڤيكتوريا عينيها بتساؤل واهتمام: ما الأمر؟

ابتسم مطمئناً:

ـ أظنه أصيب بشوكة في قائمته فقوائم الكلاب طرية جداً في مثل هذا العمر.. اجليبه إلى القصر لأفحصه جيداً.

أمسك مرفقها واقتادها إلى باب مستطيل زجاجي يقع في أسفل القصر.. اندس الجرو بين ذراعي ڤيكتوريا مضطرباً. فلما عبرا المستطيل وجدت ڤيكتوريا نفسها في مكتب كبير.. الكونت.. تيقبل.. لم تعد واثقة ماذا تسميه. ولكنه لم يعد شخصاً مجهولاً بالنسبة لها.

أفسح مجالاً فوق الطاولة وطلب منها وضع الجرو عليها:

ـ احكمي إمساكه بينما أتفحصه.

بعد نظرة عليه تبين أن الكونت على حق... راح الجرو يئن بشكل يثير الشفقة ولكنه استطاع انتزاع الشوكة في لحظات.

ثم أخرج الكونت من خزانة فوق الجدار بعض المطهرات وقطناً وقال متمتماً:

ـ سنضع له شيئاً من هذا فقط.

أمسكت ڤيكتوريا الجرو بشدة وراحت تكلمه برقة لتبعث في قلبه الاطمئنان.

أخيراً استقام الكونت الذي بدا راضياً عما فعل:

ـ أعتقد أن أفضل ما يمكن القيام به هو إرجاعه إلى أمه على أن نرسل بطلب البيطري ليتفحصه فيما بعد.



التقط الهاتف وطلب رقماً.

وكزت ڤيكتوريا اهتمامها على الجرو الذي بدأ يهز ذنبه لأن نشاطه تجدد وأخذ ينظر إلى محتويات الطاولة باهتمام، وكأنما يقدر أهميتها في اللعب والتسلية.

بعد مخابرة قصيرة، ظهر أحد عمال الموقع بالباب وحدثه الكونت بالفرنسية.. ولكن ڤيكتوريا فهمت أنه يعطيه التعليمات ليعيد الجرو إلى الاسطبل على أن يبقى لمراقبته حتى وصول البيطري.. ثم أغلق الباب على الرجل والجرو، وارتد يستند إليه.

لحقت ڤيكتوريا نظرته التي كانت تطوف بقوامها بدءاً من التيلبرت وأدركت كم يبدو مظهرها أشعث.. فبقع الدم والوحل على القميص الوردي ليست لطيفة أبداً، والذراع التي مدتها بين أشواك الورد كانت مليئة بالخدوش..

قالت: «أعتقد أن من الأفضل...»

لكنه قاطعها: «هذه الخدوش على ذراعك بحاجة إلى عناية... سأطلب من المدام ڤيران أن تعد لنا القهوة في هذه الأثناء».

بدأت ڤيكتوريا ترفض:

ـ شكراً لك.. لكن..

لعله قلق عليها ولكنها بدأت تشعر بأنها عرضة للخطر أو أنها عالقة في نفق.

قاطعها بطريقة من اعتاد على تنفيذ ما يريد:

ـ كما أنك ستبين الذعر في المخيم إذا دخلت وأنت على هذه الحال.. سأجد لك قميصاً نظيفاً، أما المدام ڤيران فستغسل

لك هذا.

قبل أن تتمكن من النطق بكلمة احتجاج أخرى، دفعتها يد الكونت نحو باب المكتب الداخلي. حدث هذا بسرعة لم تترك لها مجالاً للاعتراض. لم يكن أمامها خيار آخر كما أن عليها الاعتراف بأنها تشعر بفضول يشجعها على رؤية الشاتو من بعد ما أثار فضولها من الخارج.. فنجان نهوة لن يضيرها بالتأكيد.

قادها نيقيل بسرعة من ردهة مدخل واسعة رخامية الأرض إلى ممر طويل ومنه إلى غرفة حمام فتح لها بابه لتدخل ولكن ڤيكتوريا سدّت في وجهه السبيل، وقالت ببرود:

ـ شكراً لك.. أعتقد أنني قادرة على تدبر أمري.

ومدت يدها لتتناول منه القطن وزجاجة المطهر. فتكورت شفتاه قليلاً ولكنه لم يترك الأشياء من يده.. إنها على صواب.. هو لا يستسلم بسهولة. لكن، هي كذلك أيضاً.. نظر إلى الخدوش:

ـ قد لا تستطيعين الوصول إليها جميعاً.

أصرت بجفاء:

ـ أنا واثقة أنني قادرة.. فأنا لينة الجسم.

التوى فمه، وبرقت عيناه الخضراوان عليها:

ـ أنا واثق من هذا.

عرفت أنه لا يشير إلى ذراعيها.. للحظات قصيرة، قفز بينهما تيار كهربائي غير مرئي ولكنه ملموس فذعرت وأسرعت تنتزع القطن والمطهر من يده، وأقفلت الباب خلفها.

اخترق صوته المشبع بالتسلية الحاجز الخشبي:

ـ سأكون في غرفة الجلوس إذا احتجتني.



استندت ڤيكتوريا إلى الباب وراحت تنظر إلى مرآة كبيرة تحتل الجدار المقابل كله تقريباً.. إن مظهرها أشعث وثيابها متسخة ومجعدة. تسمرت وتركت بصرها يجول في الغرفة، إنها ضعف حجم حمام عادي في منزل أسرة متوسطة الحال. عادت عيناها لتستقرا على نفسها.. تبدو متنافرة مع هذا الثراء البارد الأخضر اللون.. ماذا تفعل هنا؟ كيف أوصلت نفسها إلى هذا المأزق؟

تقدمت إلى المغسلة وفتحت الحنفية وغسلت وجهها بالماء البارد.. ثم ملأت طشتاً بالماء، وغسلت ذراعها فيه، ثم جففتها قبل أن تضع المطهرات.. أخيراً مشطت شعرها وأبعدته عن وجهها.. عكست لها المرآة عدا قميصها صورة حسنة ملؤها البرود والهدوء وهي الصورة التي تريد أن تُظهرها.

سمعت قرعاً على الباب، ففتحته بحذر متوقعة رؤية الكونت.. لكن الطارق كان سيدة عجوز قليلاً صغيرة الفقد مكتنزة الجسم.. إنها المدام ڤيران التي كانت تمد لها يدها لتعطيها قميصاً أصفر.

ابتسمت بلطف: دونا مواقوتر شميز.. سأغسله لك.

أخذت ڤيكتوريا القميص.

ـ لحظة من فضلك.

خلعت قميصها وأعطته إلى السيدة.. في الواقع هذا غير ضروري. كان بإمكانها غسله بنفسها ولكنها لم ترغب في الاعتراض على ما تلقنه السيدة من تعليمات.

أقفلت الباب مجدداً فارتدت القميص المستعار، ولكنها

دست ذراعيها المخدوشة بحذر.. كان القميص جميلاً ملوّن الألوان.. كيف وصل إلى ما يملكه الكونت من ملابس؟

ملّست شعرها مجدداً، وخرجت من الحمام وتنقلت راجعة سالكة الممر فردهة المدخل. وناداها الكونت من إحدى الغرف.

كانت الغرفة التي دخلتها كبيرة، سقفها مرتفع مزخرف.. أثاثها أنيق مريح ألوانها ذهبية وزرقاء.. وجدت صينية عليها إبريق قهوة وفنجانين على طاولة منخفضة أمام الأريكة التي يجلس عليها الكونت.. جلست ڤيكتوريا عن عمد على مقعد بذراعين موجود إلى يمين الكونت وعندما راح يسكب القهوة في الفنجانين ألقت نظرة على الغرفة التي أعجبتها لوحاتها وقطعها الأثرية المعروضة.

شكرته حينما قدم لها الفنجان لأنه أقرضها القميص.

ـ إنه جميل جداً.

رفع نظره عن فنجانه الذي كان يذيب السكر فيه:

ـ أجل.. جميل جداً.. لكن، أرجوك، أنا من يجب أن يشكرك، فجرو كلب الصيد ثمين جداً.. لولا سرعتك بالتصرف لخسرناه.

إنها المرة الأولى التي يحاول استرضاءها.. وهذا ما أدهشها وأحرجها تقريباً.

سألته: «هل الشاتو ملك عائلتك منذ زمن بعيد؟»

ـ منذ خمسمئة عام تقريباً.. سكنت عائلة غودارد هنا منذ أواخر القرن الخامس عشر.. ولكن كل جيل قام بالتغيير من أجل تجديده وجعله مماشياً لموضة العصر.

استند إلى الخلف على الوسائد باسترخاء وراحة.



أضافت ڤيكتوريا:

ـ ما أروع امتلاك مكان كهذا.. جزء من التاريخ، مكان مرّ من جيل إلى جيل.

هز رأسه موافقاً:

ـ هذا صحيح.. لكنه مسؤولية كبيرة في الوقت ذاته.. إن قصراً وأملاكاً لا يديران أنفسهما. إنهما يكلفان مبلغاً ضخماً للصيانة.. وهو كأي استثمار آخر بحاجة إلى إدارة حذرة.

تراجعت في مقعدها، وأشعرها هذا الحديث بالدفء..

ـ ألهذا أنشئ موقع التخييم؟

ـ هذا صحيح. كان والدي في العقد الثامن عندما مات منذ خمس سنوات.. ولكنه لم يعالج قط المشاكل العالقة ولم يقلل من النفقات.. عندما أصبح عجوزاً أراد أن يعيش حياته بطريقة اعتاد عليها دوماً.. ومن يلومه؟ لكن بعد موته وبعدما ورثته، عرفت أن شيئاً جذرياً يجب أن أقوم به لأستطيع الاحتفاظ بأملاك العائلة.

ـ لكن.. لماذا موقع المخيم؟

هز الكونت كتفيه:

ـ للتخلص من خيارات أخرى.. فالزراعة لم تعد مزدهرة بحد ذاتها، ولدى قريتنا فائض من الإنتاج الزراعي. كنت قادراً على تحويل القصر إلى ما يشبه قصوركم الإنكليزية، فندق مثلاً، ولكنني لم أرغب أن تُشرع أبواب قصري للعامة.. وهناك بديل آخر تحويله إلى حدائق تسلية، حدائق حيوانات، كلها كانت بدائل ولكن لم تعجبني أية فكرة منها. أما المخيمات في هذه الأيام فهي

تجارة رائجة في أوروبا.. والأهم أن أراضي وأملاكي تقتطع مني حوالي ستة أشهر فقط ثم تبقى لي كاملة في المدة الباقية فأستمتع بها كما يحلو لي.. إنه مشروع جيد. ألا توافقينني الرأي؟

لم تفكر في الأمر كثيراً قبل الآن.. بل تقبلت ببساطة وجود موقع التخييم ولم تفكر ملياً في الأسباب أو البدائل..

سألها: «كيف ترين الحياة في المخيم؟»

ماذا يجب أن تقول؟ كان كل شيء على ما يرام حتى اكتشفت أن الرجل الغريب الذي كرهته بشدة هو مالك الأرض.. أنت! لا.. لا يمكنها قول هذا لأن هذا لم يعد صحيحاً، قد لا تجد قربه منها مقبولاً ولكنه ليس ذلك المتوحش الطاغية الذي حسبته في البداية. أخيراً استقرت على رد مهذب.

- إنه موقع جميل، في منطقة جميلة جداً.. أما العمل، فهذه هي الأيام الأولى وهي متعبة ولكنني واثقة أنني سأتمتع بها فيما بعد.

ربما كان ترددها في الرد واضحاً وجلياً، أو ربما الرد بحد ذاته ساذج.. في كل الأحوال وجد الكونت مسلياً إذ برقت عيناه الخضراوان.

- إنه رد رسمي.. لم تتكلمي في ردودك ليلة أمس. أتذكرين؟

- لم أكن أعرف من أنت.. كان عليك إخباري.

رد بصوت أجش مثير:

- لماذا.. ألهذا ترفين؟

- ربما.

- وربما لهذا السبب لم أخبرك.



- مع ذلك فهو أمر غير عادل.

ضحك:

- قد يكون الغموض تغييراً منعشاً أحياناً.

تورد وجه ڤيكتوريا لأنها تذكرت مدى وقاحتها معه.

- هذا وقف على وجهة نظرك.. إنه كالطعام.. إما تحبه وإما تكرهه.

بعد الخبرة وجدت أن معظم الرجال لا يحبون الصراحة خاصة عندما تكون موجهة ضدهم..

ضحك ثانية.. إنها على حق، فهو لا يضحك دائماً في مزاج مناسب.

- قلت إنه تغيير منعش.. ولم أقل إنني أحبه، أو أستسيغه دائماً.

ابتسمت: أعتقد أنك على حق.. ولست الوحيد الذي يشعر بهذا.

ران بينهما صمت مفاجيء، وجدته ڤيكتوريا مثيراً للأعصاب.. وضعت بحذر فنجان القهوة على الطاولة الصغيرة وتقدمت من اللوحات لتلقي عليها نظرة عن كثب، لكنها في الواقع أرادت الهروب من نظرته الحادة.. وقفت أمام لوحة وراحت تتأمل أشكالها الهندسية بعناية.

سألت: «إنها لبيكاسو.. أليس كذلك؟»

وقف الكونت وبا للرعب! ودنا منها حتى وقف إلى جانبها:

- لا.. إنها لبراك.. جورج براك الذي طوّر هو وبيكاسو الفن التكعيبي.. لذا يجد المرء نماذجهما الأولية متشابهة.

شعرت ڤيكتوريا بشيء من الاسترخاء.. حين نظر إليها كانت عيناه تبتسمان.

- في الواقع.. يجب أن أعترف أنني غير معجب بها كثيراً. لكنها إحدى لوحات أبي المفضلة.. ولهذا تركتها في مكانها.

بدا مفعماً بالإنسانية عندما أظهر مثل هذه الحساسية نحو مشاعر والده المتوفى وهذا ما جعلها تبتسم وتنسى توترها. بعد ذلك استدارت إليه لا إرادياً ولكنها كانت حركة خاطئة فما ان اوتدت إليه حتى صدمتها الذبذبات الرجولية المنتشرة حوله.. عندئذ تلاشت من أفكارها كل الأشكال الهندسية المشوشة التي شغلت نظرها منذ لحظة.. وواجهت نجأة قطعة هندسية متكافئة من لحم ودم.

- هل تحبين الفن المعاصر؟

كيف لصوته أن يكون هادئاً هكذا فيما قلبها يضرب كالطبل؟ حاولت محاكاة هدوئه:

- أفضل الرسامين التقليديين.

- إذن أنت فتاة قديمة الطراز؟

كانت شقتاه على بُعد إنشات منها.

- فقط في بعض الأشياء.

- أية أشياء؟

أدركت في الوقت المناسب ماذا سيحدث، وحاولت الارتداد إلى الوراء ولكنها لم تكن سريعة بما فيه الكفاية.. فقد انطلقت يد الكونت تمسك معصمها، وتشدها إليه. فلما حاولت الإفلات امتدت اليد الأخرى وأمسكت ذقنها لتثبت رأسها، راحت



تقاومه.. وضعت يديها على صدره في محاولة لدفعه عنها، ولكن محاولاتها كانت واهنة أمام قوته لذا بقيت قبضته ثابتة رغم جميع محاولاتها.. حسناً.. لن تستطيع الخلاص منه.. ولكنها تعلمت من تجارب سابقة أن التصرف السلبي هو نوع من الدفاع فلا شيء يسيء إلى كرامة الرجل أكثر من عدم التجاوب لعناقه.. ولكنها كانت مخطئة عندما قررت الإذعان وهذه غلطتها الثانية.

فما ان توقفت عن المقاومة حتى انصب اهتمامها وحواسها على عناقه.. ظلت مسترخية للحظات بدون اكتراث ثم عن سابق إنذار شعرت بتجاوب غادر يتحرك في أعمق أعماقها.. في البدء كانت مجرد شرارات، ولكنها ما لبثت أن أصبحت لهفة.. لم يكن عناق نبيل يتطلب رداً، وربما هنا مكمن الخطر.. ولم يكن في لمسته إصرار أو استعجال. واليدان اللتان دفعتا صدره خففتا من ضغطهما، وانفتحتا لتتحسسا عضلاته تحت خفقان قلبه.

ابتعد عنها وهي مغمضة العينين والغريب أنها لم تدرك أنها تغمضهما.. ثم فتحتهما ونظرت إليه مذعورة فرأت تعابير وجهه وعينيه البارقتين برضى كامل.

- لم أكن أصدق أنها الحقيقة.

توترت أعصابها من المكر الذي بدا على وجهه.

- ماذا؟

- أنك امرأة لا يمكن مسك كما ادعيت.. جل ما في الأمر أنك بطيئة الاشتعال.

في هذه المرة فاجأته ڤيكتوريا بابتعادها عنه، وقالت بغضب:

- لا تسمعني المزيد من تحاليلك النفسية! أنت تصورتي

وكأنني نار مخيم تخرج دخانها غير لهب.

حك نيقيل ذقنه مفكراً:

ـ لا، لا أقول إنك كنت جيدة إلى هذا الحد.. لكنك تعدين بشيء ما في المستقبل.

تساءلت ڤيكتوريا عما إذا كان في الغرفة شيئاً رخيصاً ترميه به..

قالت بلهجة ملؤها الاتهام:

ـ أيها الخنزير.. لقد تعمدت عناقي.

إنه كأي رجل آخر.. غرور منتفخ ككرة قدم ولكنه فارغ أكثر من التفاحة بمرتين.

ضحك: «لم أستطع قط مقاومة التحدي.. وأنت إلى ذلك تبدين رائعة بهذه الثياب».

وأنزل عينيه إلى سروالها القصير بإعجاب. لم تدر ڤيكتوريا مما غضبت.. من نفسها لأنها سمحت له بمعانقتها، أم من هذا.. المتوحش الذي يظهر مثل هذا الاستخفاف بمشاعرها.

تقدمت إلى الناحية الأخرى في الغرفة فالتقطت حقيبتها، ثم ارتدت إليه تواجهه والغيظ ظاهر في كل خطوط وجهها الممتقع بلون أحمر.

ـ شكراً لك على القهوة وعلى القميص.. أما ما تبقى، فقد كان مثيراً للاهتمام على أساس التجربة التحليلية.. ولكنه لم يبعث السرور في نفسي.

ابتسمت له ابتسامة زائفة.

ضحك عالياً: حذار آنسة ترايد.. قد أعتبر مثل هذه الحجج



تحدياً.

لم تعرف ڤيكتوريا متى أغضبها رجل على هذا النحو.. فهي تكاد تندفع لتضربه وتركله.

قالت: آمل ألا تحاول.. لأن استخدام القوة البدنية للحصول على عناق أمر مضجر.

عرفت أنها تدوس على جليد رقيق.. مع أنها كانت قلقة بعدما واجهته في المقهى. أما الآن فهي لا تهتم ولكنه لم يكن منزعجاً من تهجماتها بل الواقع أن تعابير وجهه كانت تظهر شيئاً من التسلية كلما ثار غضبها.

رمت حقيبتها فوق كتفها.. ثم سارت نحو الباب.. متجاهلة نيقيل الذي كان يلحق بها.. تقدمته إلى الردهة ومنه إلى الممر لمكتبه.

رافقها حتى البوابة وهناك أزال الرتاج الضخم لتستطيع المرور..

قال وهي تمر عبر البوابة: سأتأكد من إعادة التيشيرت إليك.

ردت ببرود: «شكراً لك».

* * *

## ٤ ـ قطة صغيرة باردة

مر الأسبوع التالي بسرعة مذهلة. ففي الصباح تنشغل بتوزيع مكعبات الثلج والصحف وبين الثامنة والتاسعة والنصف يصبح المخيم مزدحماً مكتظاً بالزائرين. وكانت الدراجات المحملة بالصناديق البلاستيكية هي التي تحل محل الباصات والسيارات والتاكسيات. كان المشرفون يسيرون مدة ساعة ونصف بالدراجات من المتجر الرئيسي وإليه وإلى كل أنحاء الموقع.. نعم هي بداية نهار ملؤها النشاط. ولكنها كفيلة بإيقاظ حواس المرء. كانت تحب الموقع في مثل هذا الوقت من النهار، فالعشب يكون رطباً بفعل الندى. والضباب الخفيف يسمح لأول خيوط الشمس بالتسلل ويخيم على الجو النقي صمت يبعث السرور في النفس.. كانت تحب رؤية الاخضرار الذي يحيط بالموقع فهو يعد كل صباح ببداية.. بداية طازجة لا يحدها، ولا يكبحها أمس مزعج.

شعرت بأن زيارة الشاتو جرت في ماض بعيد ففي هذا الأسبوع لم تزر الكونت الذي أنساها وجوده العمل الدؤوب.

لا شك أن ذلك العناق أفقدها توازنها ولعل أكثر ما أغضبها هو فشلها في صده. والمؤسف أن فشلها هذا جعلها تحس



بالضعف والهشاشة.. لقد أحبت رجلاً آخر.. بحق الله! فكيف لها أن تذوب بين ذراعي أول متعصب متحين للفرص؟ لقد أضاعت ما فيه الكفاية من طاقة من أجل رجل لعين.. ولكن ما وقع وقع ولا فائدة من الندم لأن الندم لن يغير شيئاً. في لحظة ضعف، فقدت السيطرة على جسمها وهذا ليس غريباً، فهي امرأة من لحم ودم على أي حال.. والكونت رجل في غاية الجاذبية وإن أصابتها بعض شظايا الجاذبية فلا يعني ذلك نهاية العالم.. مع ذلك نما فعله لا يشبه أبداً ما فعله بها غايفن لذا لا يستحق أبداً أن تؤرقها ذكراه.

أعيد لها قميصها منسولاً ومكوياً بواسطة إحدى العاملات في الشاتو، وهي قامت برد القميص وانتهت المسألة. أما الجرو الذي تفقدته مرة، فعاد إلى نشاطه.

في العاشرة صباحاً يبدأ نشاط الأولاد والواقع أن نادي الألعاب هو مكان افتتحه المخيم منذ أربع سنوات كتجربة ولكنها تجربة أثبتت شعبيتها. كان النادي يفتح أبوابه من العاشرة إلى الثانية عشرة، ويقوم بحضانة الأطفال ومراقبتهم ليتمكن الآباء والأمهات من الحصول على ساعتين من الراحة والهدوء.

كانت فيكتوريا قد وافقت على تحمل مسؤولية إدارته.. ولأن عدد الأطفال في النادي هو ثلاث بنات وصبيان وجدت الوقت للقيام بكثير من نشاطات اللعب.

مع مرور الأيام، وجدت أنها باتت أكثر ثقة بالنفس في التعامل مع الأولاد. أحبت اللعب مع الأولاد واستمتع الأولاد بالنشاطات التي يقومون بها. نعم هو عمل متعب ولكنه مرضٍ

كثيراً . فعندما يحل وقت الانصراف كان الأولاد يترددون بل يرفضون مفارقتها ويطالبونها بلعبة أخرى. وفي اليوم التالي عندما يعودون كانت تجدهم مشرقي الوجه ومتحمسين للعب.

في أحد الأيام كانت تتولى مهام الحكم في لعبة كرة القدم فهنا تصيح «تسلل» وهناك تنادي «أاول» ثم تصيح بهم حتى يعودوا إلى مراكزهم.

وجدت شخصين يسيران بعيداً فلفتا اهتمامها.. لم يصعب عليها التعرف على الرجل.. الكونت وإلى جانبه امرأة صغيرة القد، سوداء الشعر.. قال شيئاً أضحك المرأة التي دست ذراعها بذراعه بتملك.. ولم تكن ڤيكتوريا مستعدة لهذا الخفقان الذي أخذ يرتفع أعماق معدتها. صفّرت بقوة مبالغ فيها لتشير إلى الأولاد أن يبدؤوا باللعب.. حذّرها العقل من مغبة النظر إليهما ونصحها بإعطائهما ظهرها ولكنها لم تستطع اعتماد نصيحة عقلها.

ـ هل رأيت هذا آنسة؟

ـ آسفة!

وجهت بصرها إلى وجه الصبي العابس الذي اعترض بوقار:

ـ أنت لا تراقبين اللعب آنسة.

هزت ڤيكتوريا نفسها. ليس من عادتها الانشغال عن الأولاد وهي تعرف جيداً كم يكره الأولاد الإحساس بأن الكبار لا يهتمون بهم. صبّت اهتمامها على الصبي وقالت:

ـ آسفة.. لفت نظري شيء ما.. هذا كل شيء. ما الأمر؟

ـ إنه كابي وقد رفسني بدون سبب. انظري.. لم أتعرّض له



بأي شيء.

ألقت ڤيكتوريا نظرة على مكان الإصابة فلم تجد شيئاً خطيراً..

ـ اجلس دقائق واسترح إذا شئت.

هز الولد رأسه: «لا.. سأتدبر أمري».

ابتسمت ڤيكتوريا حين ركض وهو يعرج قليلاً.

ليس من الإنصاف عدم التركيز على الأولاد ولكن ما ان ابتدأت اللعبة مجدداً حتى نسلل بصرها إلى الجانب الآخر.. توقعت أن يكون الكونت والمرأة قد ابتعدا ولكنها وجدتهما يراقبان الأولاد.

اشتعلت نار الغضب في أعماقها.. يا الله! تعرف أنه شديد الثقة بنفسه ولكنها لا تعرف إلى أي حد.. إلى حد الفظاعة! طبعاً، تعرف أن لديه صديقات.. وتعرف أن علاقاته أمر خاص به. ولكن أيجب أن يستعرضهن بهذه الوقاحة؟

في الدقائق العشر التالية، لم تلتفت ڤيكتوريا يمنة أو يسرى ورفضت السماح لعينيها بالتجول ولو لمسافة صغيرة بعيداً عن مساحة الملعب.. عندما رفعت نظرها بعد ذلك لم تجدهما ولكن ظلت صورة ضحكاتهما راسخة في مخيلتها.

عندما عادت ڤيكتوريا إلى الخيمة وقت الغداء وجدت إيما مضطربة.. ثمة عائلتان بلغتا الإدارة عن تعرضهما لسرقة بسيطة وهناك زوجان أبديا انزعاجهما لأن أحدهم نفّس إطارات سيارتهما ليلاً.

لم تكن السرقة شيئاً غير عادي في مخيم من هذا الحجم..

ولكن الأمر الغريب أن تقع حادثتان في وقت متقارب.. عزوا أمر الإطارات المفرغة من الهواء إلى شيطنة أولاد.. ولكنهم لم يربطوا بين الحوادث الثلاث.

غطت السرقات لحسن الحظ شركة تأمين المخيمات الصيفية إذ ليس هناك أمل كبير في استعادة المسروقات أو تعقب الفاعلين.

سألت ڤيكتوريا: «هل هناك ما نستطيع القيام به؟»

هزت إيما رأسها: ليس أمامنا الكثير.. وكل ما نستطيعه هو الانتباه جيداً وتقديم النصح للزوار بتوخي الحذر فلا نريد افتعال مشكلة كبيرة لئلا نفسد على الناس عطلتهم.

هزت ڤيكتوريا رأسها إيجاباً:

ـ من الأفضل التحدث إلى المرشدين الآخرين لنرى ما إذا كان لديهم مشاكل مماثلة.

عادت إيما إلى التبرج فمشطت شعرها الأشقر الطويل.. كانت على موعد مع جماعة من الزوار يريدون القيام برحلة بحرية في بحيرة «دوردوغان».

تمتمت: «فكرة عظيمة.. سأرى روبن الليلة وأحدثه عن الموضوع».

استراحت ڤيكتوريا في مقعدها قرب جيل.. لقد أقنعتها إيما بالانضمام إليها وإلى الشابين لإتمام العدد إلى أربعة. كان الرقص على وشك أن يبدأ وكانت الأنوار خافتة لذا كان المرء مضطراً إلى التحديق جيداً في العتمة ليرى على بعد بضع أقدام منه.. ارتشفت ڤيكتوريا كأس العصير وراحت تبتسم بين الحين والآخر إلى الزوار الذين تعرفت على وجوههم، وكم تمنت لو تشعر بالاسترخاء



الذي يشعرون به! من الخارج كان وجهها قناعاً مرحاً ولكنها في أعماقها تتوق للابتعاد عن هذا الجو كله.

يا لي من عزول.. وبخت نفسها بصمت.. فطالما نفد صبرها من أولئك الذين يتزوون ويلقون أنفسهم إلى الحزن بسبب علاقة حب فاشلة. ولكن عندما يقع المرء بالتجربة يجد أن ما كانت تقوله نظريات.. قبل غايڤن لم تكن بذات تجربة مع الرجال.. نعم لا تنكر أنها أقامت صداقات مع بعض الرجال ولكنها لم تتعد حدود الصداقة ولم يحرك أحد قلبها غير غايڤن.. ولكنها الآن غير واثقة إن كان سبب تكدرها الحالي هو غايڤن فقط.. ربما عليها أن تشعر بالسعادة لأن انشغالها بأمور أخرى دليل على أنها بدأت تتخلص من ذكراها ولكنها لم تفرح.. قردة فعلها عندما رأت الكونت مع تلك المرأة كان أمراً غير متوقع، هذا أقل ما يقال.. لماذا أحست بطعنات غيرة مفاجئة؟ هذا بالضبط ما أحست به. لا يعقل أن تنجذب إليه.. لا هذا غير معقول؟ لا.. الفكرة كلها سخيفة.. إنها لا تعرفه.. وما زالت تحب غايڤن.. وثمة أمور كثيرة كثيرة تحول دون ذلك.. إلا إذا كانت علاقات الحب الكارثية قد تتحول إلى إدمان.. وقد ينتهي بها الأمر بأن تصبح واحدة من أولئك النسوة اللاتي قدر لهن الوحدة لأنهن لا يقعن في سوى حب رجال يعاملونهن بقسوة!. يجب أن يكون هناك لقاح ضد هذا الطراز من الرجال.. مثل لقاح الجدري. إن الانشغال بالعمل هو أفضل بكثير من تلك «الغيرة القاتلة» التي شعرت بها.

نظرت إلى جيل من فوق حافة كأسها.. الآن.. لماذا لا

تنجذب إليه؟ إنه كما تصف أمها هذا النوع من الناس «فتى طيب.. لطيف، يراعي مشاعر الآخرين». وهو إلى ذلك وسيم أنيق ولكنه لا يسترع نبضات قلبها.. بعد قليل سرح نظرها في المقهى حتى وقعت عيناها على زوجين لا يبدوان مهتمين بالحفلة كذلك، كانت تعابير وجه بيتر متحجرة أما وجه جوليا فبدا متجهماً وتعساً.

تعاطفت ڤيكتوريا مع جوليا فأشارت إليها بالمجيء هي وبيتر للانضمام إليهم.. رأتها تلمس ذراع بيتر وتسير في اتجاههم، لكنه هز رأسه رافضاً وظل حيث هو.. في لحظة تمرد نادرة تركته جوليا ودنت من طاولتهم.

سألتها ڤيكتوريا: «ألن ينضم بيتر إلينا؟»

وقف جيل ليسمح لجوليا بحشر نفسها في المقعد بينهم.

اعتذرت جوليا:

ـ لديه عمل مكتبي.

قالت ليكتوريا ممازحة:

ـ ألا يعلم أن كثرة العمل الذي لا يتخلله مرح يجعله مثلبد الحس؟

نظرت جوليا بلهفة إليه لأنها خشيت أن يفسر ضحكاتهما على أنها فكاهة ضده.

قالت: «إنه كثير الاهتمام بعمله».

تمتمت ڤيكتوريا: وكذلك كان موسوليني.. لكن هذا لم يجعله محبوباً.

أطلقت جوليا ضحكة قصيرة.



ـ أنت على حق.. ليته يسترخي قليلاً فهو يحمل كل الأمور على محمل الجد.

ـ وكيف تسير الأمور مع المخبمين؟

طالما تساءلت ڤيكتوريا عما يشد بيتر إلى مثل هذا العمل..

اعترفت جوليا: في الحقيقة، أعتقد أنهم يخافونه قليلاً. إنه يعاملهم بجفاء ولا يمازحهم ويضاحكهم.

حرك جيل حاجبيه بطريقة مبالغ فيها:

ـ لماذا ترتدي الجياد أحذية ثقيلة؟

انتظر الجميع الرد الساخر:

ـ بسبب أعمالها البطولية.

تأوه الجميع مخربة.

تمتمت ڤيكتوريا ساخرة:

ـ على الأقل، هناك شيء يقال لمرشد عابس في مخيم.

حاول جيل شد أذنها ممازحاً.

مع تقدم المساء شعرت ڤيكتوريا بأنها تلعب دور «العزول» ليس لشخصين فقط بل لأربعة.. فقد أطلق جو السهرة المرح لسان الجميع، وأصبحت نكات جيل سخيفة أكثر فأكثر.. ثم انتقل روبن وإيما إلى مرحلة الهمس، وأخذ روبن ينظر إلى لسان إيما الجميل باهتمام متزايد.

أحست ڤيكتوريا أنها شخص زائد على الموجودين.. ولم يكن من حقها لوم الآخرين.. فقد أوضحت أنها لم تشعر بأي ميل نحو جيل. وإذا انسجم مع جوليا فلماذا تفسد الأمر عليهما؟ فجوليا تستحق مكافأة عزاء بعدما حط بيتر كزميل عمل عليها.

ما إن وقف الجميع للرقص حتى قررت عدم البقاء، «كالمعزول» وبدأت تفتش عن حقيبتها تحت الطاولة. وقررت التسلل إلى الخارج ولكن صوتاً من فوقها، صوت الكونت، أوقفها.. لماذا يضبطها دائماً في وضع غير ملائم؟

- أترغبين في الرقص؟

استوت جالسة ومررت عينيها بسرعة عليه، فرأته يرتدي بزة سوداء زادت من عرض منكبيه وقميصاً أبيض أظهر عنقه السمراء.. بدا أشبه ما يكون بفهد أسود، نحيل ورشيق وقوي وخطير.. إنه ككل حيوانات الغابة. ولكن عندما تذكرت المرأة السوداء الشعر وهي تحتضن ذراعه تشجعت وقالت:

- أنا لا..

رفع حاجباً أسوداً بسخرية:

- لا ترقصين؟ سأعلمك.

بدأت مرة أخرى:

- أنا لا..

- الأمر سهل في الواقع.

وقبل أن تعرف ما الذي يجري وجدت يده على خصرها يقودها إلى حلبة الرقص.. كانت الموسيقى هادئة ورومانسية وضمها بين ذراعيه بلا تردد، وكانت يده على ظهرها والأخرى على كتفها، يشدها إليه.

- أرأيت.. تحركي فقط مع اللحن.

رفعت نظرها إليه:

- أجيد الرقص.. شكراً لك.. كنت أحاول أن أرفض بأدب.



قلّد لهجتها الإنكليزية الصارمة:

- وأنا كنت أحاول فقط أن أكون مصراً بأدب.

- إنه شيء تبرع فيه.

- الرقص؟ شكراً لك.

صححت له بغضب:

- أقصد الإصرار.

- هذا فقط عندما يكون من أتعامل معه شخصاً يصعب إقناعه.

- أفترض أنك تقصدني أنا.

- لست امرأة سهلة المراس أبداً.

لم تكن بحاجة إلى النظر إلى وجهه لتعرف أنه يبتسم. إنه يتمتع بهذا.. ولماذا لا يتمتع؟ ولكنه في النهاية يحصل على ما يريد.

- لا أعتبر الإذعان ميزة مرغوبة يجب تنميتها.

رعدت ضحكة في حلقه.

- جربي الإذعان في وقت ما فقد تجدين الأمر مرغوباً أكثر مما تظنين.

أهذه هي الطريقة التي مارسها على المرأة السوداء الشعر؟ لقد بدت فعلاً فاتنة فتنة الأفاعي..

قالت بتحدٍ:

- أشك في هذا.. فالإذعان مضجر.

زادت يده التي على ظهرها الضغط.

- أوافقك الرأي.. فالإذعان بحد ذاته ممل كثيراً.. لكنه قد يكون تناقضاً مثيراً للاهتمام.

رقمت بصرها إليه ولاحظت ظلاً قاتماً على ذقنه، كان يجب أن ينتقص من جمال طلته.. ولكنه عوض ذلك زادها جمالاً..

قالت بصوت فظ:

ـ هذا وقف على مدى رغبتك في أن تكون مثيراً للاهتمام.

سأل برقة: «ألا ترغبين في هذا؟»

حاولت الابتعاد عنه، ولكنها أدركت متأخرة مدى قربهما من بعضهما بعضاً.

رمت بالإنكار في وجهه:

ـ لا.. سبق أن قلت لك إنني أريد منك فقط أن تتركني وشأني.

قال بلهجة أكثر لطفاً وأقل سخرية:

ـ بدوت لي وحيدة.

ـ كنت بمفردي ولكن هذا لا يعني أنني أشعر بالوحدة.

ـ صحيح.. مع ذلك بدوت لي وحيدة.

تحركت ڤيكتوريا مع خطواته بشكل آلي وحارت بما تجيب وكيف تتخلص منه.

ـ هل استلمت القميص؟

ـ عفواً؟ آه.. القميص.. أجل، شكراً لك.

لماذا تتعامل معه بأدب فيما تشعر برغبة عارمة في ضربه على أسنانه.

ـ الجرو بخير الآن.

ـ أعرف.. تفقدته.

ـ والشكر لك.. لماذا تقصين شعرك قصيراً؟



فاجأها السؤال الشخصي: ماذا؟

ـ إن اللواتي يملكن لون شعرك يرغبن أن يكون طويلاً.

لا تدري إن كان يحاول إثارتها بأسئلته أم يغريها.. تجاهلت كلا الاحتمالين.. وردت بجفاء:

ـ لست كمعظم النساء.

ـ لا.. لست هكذا.. ولو أنك صادقة مع بنات جنسك في أشياء أخرى.

في هذه المرة ابتعدت عنه بعداء:

ـ ماذا تعني؟

ضحك بصوت منخفض مثير:

ـ لا تبدي مثل هذه المشاكسة.. هذا لا يناسبك.

ـ أنا لا أعمل على إرضائك.

برقت التسلية في عينيه:

ـ لقد قمت بهذا يوم الأحد الفائت.

ـ الأحد الفائت.. وماذا عنه؟

ومض في عينيه شيء آخر غير التسلية:

ـ أنت قطة صغيرة باردة.. أليس كذلك؟

واشتدت يداه حولها.

قالت ڤيكتوريا لنفسها: لا تفقدي فرصتك المؤاتية! حاولت تجاهل الطريقة التي تلتصق فيها أصابعه على كتفها وطريقة خفقان نبضاتها تحت نظرته.

في تلك اللحظة تقدم أحد السقاة الذي ربت على كتفه ثم كلمه همساً.. فتراجعت ڤيكتوريا التي وجدت أن الفرصة سانحة

للابتعاد عنه ولكن أصابعه لم تسمح لها بالحراك.. فجأة تركها:

ـ عذراً.. تلقيت مكالمة هاتفية.. انتظريني.

إنه أمر.. وليس طلباً.

لكن ما إن اختفى في العتمة حتى عادت فيكتوريا بسرعة إلى الطاولة فجمعت حقيبتها وخرجت من المبنى. إنها ترفض أن تقامر.. وها هي حواسها جميعاً تدعوها للسيطرة على الموقف قبل أن يفلت الزمام من يدها.. بعد الدخان العابق في الداخل، كان جو الليل منعشاً صافياً. توقفت لحظة لتتنشق الهواء النقي.

كان الممر الذي يؤدي إلى خيم المشرفين ممراً معزولاً لا يستخدمه الزوار.. لذا حينما سمعت وقع أقدام خلفها، حثت الخطى ثم جعلتها اليد التي أمسكت كتفها تتقفز مذعورة مع أنها عرفت صاحبها.

ـ لمَ العجلة؟

ـ لا.. لست في عجلة في أمري.. أريد فقط أن أنام باكراً.

ضحك بصوت منخفض:

ـ كذابة.. لقد خرجت حالما أدوت ظهري.

أنكرت بحدة: الا، ليس صحيحاً.

رفع حاجبه بعدم تصديق:

ـ حسناً.. إن أردت النوم باكراً فلن أمنعك عن ذلك.. أردت أن أطلب منك معروفاً.

ـ معروفاً؟ ما هو؟

ـ رأيتك اليوم.

ـ وأنا رأيتك.



ـ آه..!

تساءلت فيكتوريا ما إذا كان في ما نالته تلميح واضح إلى غيرة.. وأكدت لها هذا كلماته التالية:

ـ المرأة التي كانت برفقتي هي شقيقتي.

يا إلهي! ألا يمكن أن يتذرع بما هو مقنع أكثر من هذا؟ شقيقته! ماذا يظنها.. حمقاء؟ ولماذا يزعج نفسه بالكذب عليها؟ بدا عدم التصديق على وجهها واضحاً.

ـ حقاً؟

ضحك الكونت ضحكة ماكرة ملؤها الغرور، وكأن ردة فعلها أنبأته بشيء ما.. وهذا ما لم يعجب فيكتوريا.

ـ أجل.. ألم تلاحظي الشبه بيننا؟

الآن، وهي تعيد التفكير، وجدت أن بينهما تشابهاً بسيطاً ظلهما الشعر الأسود ذاته والقلة البهية ولكنها ردت بعدم اكتراث:

ـ لم ألاحظ هذا.

ـ سترافق شقيقتي زوجها إلى كندا، في رحلة عمل. لذا ستترك ابنتها عندي في الأسبوعين القادمين.. وكنت أتساءل ما إذا كان بإمكانك ضمها إلى ناديكم كل صباح.

فقدت القدرة على الكلام ولم تعد واثقة... لأنها أدركت أن المرأة هي حقاً شقيقته، أم لأنها لم تتوقع مثل هذا الطلب البريء؟

ـ أنا.. آه.. أجل. كم عمر ابنة أختك؟

ـ ثمانية أعوام. ولكنها طفلة وحيدة لا تقضي الوقت الكافي مع الأولاد في مثل سنها.. ستفيدها النشاطات التي تقومين بها كثيراً.. تأثرت شقيقتي كثيراً بطريقة تعاملك مع الأولاد هذا

الصباح وأرادت أن تكلمك بنفسها. لكن..

رفع صوته ساخراً وهو يردف:

ـ .. بدوت متعبة. ولسوء الحظ اضطررت إلى السفر.

أحست ڤيكتوريا بتورد وجنتيها.. هل بدا تصرفها هذا الصباح شفافاً إلى هذا الحد؟ فالواضح أن الكونت فسره على أنه غيرة.. أوليس على حق.. جزئياً على الأقل؟

ـ هذا.. آه.. سيكون رائعاً.. فلنبدأ منذ صباح الغد..

ـ شكراً لك.. هل تمانعين إن ناديتك ڤيكتوريا؟

كيف تستطيع أن تعترض أو تمانع وهو ينظر إليها هكذا؟

ـ لا.. آه.. بالتأكيد لا.

لماذا ثقل لسانها بشكل أخرق؟

ـ ليلة سعيدة إذن.. ڤيكي.

ـ ليلة سعيدة..

وتوقفت مترددة.. فاقترح برقة:

ـ حاولي أن تناديني ڤيل.

ڤيل.. لم تتمكن حتى الآن من الاعتياد على اسم نيڤيل..

ـ تصبح على خير.. ڤيل.

رمت كلماتها في جو الليل الساكن ووقفت مسمرة خاصة عندما رأت ڤيل يقترب منها ويرفع ذقنها ويحني رأسه ليلثم وجنتها برقة.

تمتم: «عظيم».

لم تدر ما إذا كان تعليقه يعود إلى مناداته باسم ڤيل أم إلى القبلة أم إلى موافقتها على المعروف.



## ٥ ـ من يحميها؟

تظاهرت ڤيكتوريا بأنها نائمة ما إن دخلت إيما التي نادتها بهمس فتجاهلت ڤيكتوريا نداءها.. كانت مستيقظة ولكنها غير مستعدة لمواجهة أسئلة إيما التي لا مهرب منها. وكيف ترد على أسئلة لم تجد هي نفسها لها رداً؟ وكيف تبدأ بهذا؟ لقد أتت إلى فرنسا لسبب حقيقي وبنية محددة.. وكانت هذه النوايا واضحة وصريحة: لا تورط مع الرجال.. ولم يخطر ببالها أن مثل هذا الشرط قد يصبح مشكلة.. فقد خسرت منذ فترة وجيزة الرجل الوحيد الذي أحبته يوماً.. فكيف لأي كان أن ينافس على مكان غايفن في قلبها؟ لم يبدُ لها هذا ممكناً.. وما زال.. وبخت نفسها بقسوة.. مع ذلك، فلا مجال لإنكار استجابتها لڤيل كلما اقترب منها.. وهي لا تنكر أنها تجده جذاباً.

أفكار.. أفكار.. إمكانيات.. اقتراحات.. كانت تقحم نفسها إلى رأسها لم تخرج حتى أصبح مزيجاً مختلطاً من الصور التجريدية الذاهلة. راحت تتلوى وتتقلب في فراشها حتى وقعت أخيراً في فخ النوم في ساعات الفجر الأولى.. ومع ذلك استيقظت باكراً.

وقت الفطور لم تستطع تجاهل أسئلة إيما: لماذا لم تخبريني

أنك تعرفين الكونت معرفة جيدة؟ ماذا كان يجري ليلة أمس؟ لماذا أسرعت بالخروج؟ ولماذا لحق بك؟ كان يرافق. كل سؤال نظرة استغراب وترقب.

تظاهرت بالجوع فأقبلت على الكرواسان بشهية ولكنها أجابت عن سؤال إيما بشكل عفوي وبعدم اكتراث.

ـ أنا لا أعرف الكونت جيداً.. طلب مني الرقص لأنه أراد أن يطلب مني خدمة.

نظرت إليها إيما مترقبة: «آه!»

ـ ستقيم ابنة أخته معه، وأراد أن يسأل إذا كان بالإمكان أن تنضم إلى نشاطات الأولاد في الصباح.

شخرت إيما بسخرية:

ـ هه! هذه حركة ماكرة. لا أتصور الكونت خالاً حنوناً، فالأطفال لا يليقون بمحيطه. أراهن أنه لم يستطع الانتظار حتى يسلمها إلى شخص آخر يعتني بها.

توقفت الكرواسان في طريقها إلى فم ڤيكتوريا لأنها لم تنظر إلى طالبه على هذا الضوء.. ولكنه بدا أمراً محتملاً.. فلعل ما رآه فيها أنها حاضنة أطفال مفيدة.. ربما حدثه ذاك عن حاجة الطفلة إلى رفقة مجرد ادعاء لإثارة شفقتها.

وافقتها الرأي بعفوية مزيفة لأنها لا تريد أن تفضح أفكارها أمام إيما.

ـ ربما أنت على حق.. لكن طفلاً آخر لن يشكل مشكلة..

غيرت دفة الموضوع بسرعة:

ـ.. هل ذكرت السرقات أمام روبن؟



هزت إيما رأسها إيجاباً:

ـ همم.. العجيب أن لديهم ثلاثة تقارير عن سرقات. وهذا بكل تأكيد وباء في هذا الوقت من الموسم، فعادة لا يقيم اللصوص هنا وقتاً طويلاً لذا لا يقومون بمثل هذا العدد من السرقات.. إلا إذا كان ممتهناً السرقة.. لكن المسروقات تافهة وهذا هو غير المفهوم في الأمر.

في البداية، لم تكن ڤيكتوريا تُصغي إلى ما تقوله إيما، لأن أفكارها ما تزال مع ڤيل ولكنها عادت تركز اهتمامها الكامل على كلماتها.

ـ ألا يجب إبلاغ الشرطة بالأمر؟

هزت إيما كتفيها:

ـ لن يفعلوا شيئاً.. فالسرقات تافهة على أي حال.. لا.. سنرى ما إذا كانت ستستمر بعد رحيل عدة من الزوار، فلو استمرت لتبين لنا أنه شخص مقيم في المخيم.

هزت ڤيكتوريا رأسها موافقة:

ـ هذه فكرة صائبة.

في تمام العاشرة وصل ڤيل وهو يمسك يد فتاة صغيرة. قسماتها السمراء الجميلة ذكرت ڤيكتوريا بامرأة الأمس ولكنها وجدت في الفتاة شبهاً بڤيل أيضاً.. بدا وهو يرتدي السروال الجينز والقميص المخطط رجلاً عفوياً وغير رسمي لكن ڤيكتوريا تعمدت تركيز اهتمامها على الطفلة ورفضت السماح للذكرى عناق الأمس بالتسلل إلى ذهنها.. جلست على عقبيها وقدمت نفسها:

ـ بونجور.. جي مابيل ڤيكتوريا.. آمل أن تتسلي معنا سي

ماتان.

عينا الطفلة وفورتان تحيط بهما أهداب طويلة وشفتاها مبتسمتان بابتسامة جميلة.

ردت الفتاة بلهجة ساحرة بلغة إنكليزية رسمية:

ـ صباح الخير مدموزيل، اسمي أرينا، وأنا أتطلع شوقاً لقضاء الصباح معكم.

بدت الفتاة ضعيفة هشة وهذا لا يتناسب كثيراً مع الألعاب الصاخبة التي يستمتع بها الآخرون.

قبل أن يرحل كلم قيل أرينا بالفرنسية. تمكنت ڤيكتوريا من ترجمة بعض الحديث بسرعة ففهمت أنه يطلب منها أن تحسن التصرف وألا تسبب المتاعب لڤيكتوريا.. ومن هو ليقول هذا؟

قد تكون مؤامرة لإثارة عطفها، لكن مع ذلك كان قيل على حق حين قال إن أرينا بحاجة للاختلاط مع الأولاد في مثل سنها.. فقد وجدتها خجولة كثيرة التردد مع الأولاد الآخرين، وبدت متوترة بسبب صخبهم العنيف. لازمت الصغيرة مدة ساعة وأكثر ڤيكتوريا، ورفضت الابتعاد عنها أكثر من بضع أقدام. أما ڤيكتوريا فلم تحاول دفعها إلى شيء، فعلى الأولاد أن يتأقلموا مع بيئتهم قبل أن ينخرطوا فيها.. ما إن قاربت فترة الصباح على الانتهاء حتى بدأت بالاسترخاء قليلاً وقد صادقت فتاة إنكليزية في مثل عمرها. جلست الفتاتان عند حافة الملعب تشكلان سلاسل من أزهار ولم يبدُ أنهما تجدان صعوبة في حاجز اللغة.

انقضى ذلك الصباح بسرعة.. عندما نظرت ڤيكتوريا إلى ساعتها وجدت أنه لم يبق غير عشر دقائق لتنتهي نشاطات اليوم.



استمتعت بوجود أرينا ولكنها لم تنسَ كلمات إيما ساعة الفطور عندما قالت لها إنه يبحث عن حاضنة.. وكانت كلما أمعنت التفكير في ما قالته إيما تزداد قناعة بأنها على حق وأن قيل عند حلول موعد الغداء سيأتي بعذر مقنع ويتوسل إليها بحرارة للتعتني بالفتاة بعد الظهر.. في ظروف عادية ما كانت لتمانع لأنها تحب الأولاد وتستمتع بصحبتهم.. ولكنها كرهت فكرة أن يبتدع قيل متعمداً صلة رومانسية بينهما في سبيل تحقيق مراد ما.. فما هو أسهل على رجل مثله أن يتملق ببضع كلمات رقيقة وبعناق ليجد مربية تعمل على رعاية ابنة أخته في المدة التي تقيم فيها بعده... تفكيرها يدل على سوء ظن به؟ ولكنها تعلمت ألا تثق ثقة عمياء بالآخرين.. ما إن أوشكت فترة النشاطات على الانتهاء حتى قررت أن ترتضي طلبه إن طلب رعاية أرينا.

ما إن شاهدت أرينا خالها حتى تركت يد ڤيكتوريا وركضت نحوه، فضمتها ذراعاه القويتان ولثم وجنتيها برقة.

كانت ڤيكتوريا مشغولة بجمع الكرات والمضارب وكرات الريش التي استخدمت في نشاطات الصباح.. لذا مضى بعض الوقت قبل أن تدنو منهما.. فيما كانت تقترب سمعت أرينا وهي تقص على خالها بلسان منطلق تفاصيل أحداث الصباح. التفتت ڤيكتوريا لتوصل آخر مجموعة من الأولاد إلى أهلهم فقاطعها ما قالته أرينا، وما سمعته كان قول قيل بحزم بالإنكليزية.. أرجوك أرينا.

عندما انضمت إليهما أخيراً كان وجه الصغيرة منجهماً من التركيز لأنها تحاول صياغة طلبها بالإنكليزية:

ـ أرجوك.. هل تنضمين إلينا أنا وخالي بعد الظهر، مدموزيل

فيكتوريا.. آه! أرجوك.. أرجوك تعالي «سان فو بلاي».

عبثت فيكتوريا.. تنضم إليهما.. أين؟ لم يكن هذا ما توقعته.

ما إن رأى فيل تعبير الحيرة على وجهها حتى قال:

ـ قررت أن أصطحب أرينا لزيارة الكهوف الموجودة تحت الأرض في «باديراك» بعد الظهر ولكنها ترغب أن ترافقينا.

لم يعد للعذر الذي حضرته معنى.. وعليها أن تفتش في عقلها عن عذر آخر.. فهي لا تنوي أن تفرض نفسها على فيل غصباً عنه.. أحست أرينا بالرفض القادم وضغطت بتوسل وبصدق بريء:

ـ أرجوك مدموزيل.. أرجوك، تعالي معنا.

رفعت فيكتوريا بصرها إلى فيل مطالبة إياه بالتدخل لكن فمه انفرج عن ابتسامة مثيرة:

ـ لماذا لا تأتين معنا؟ نحن نحب أن.. أنا أحب أن ترافقينا.

أظهر بهذا أن رغبته تشمل الدعوة.

عرفت فيكتوريا أنها مجنونة فقد وعدت نفسها بالابتعاد عن الرجال وعن فيل بشكل خاص.. فلماذا تتردد؟ لكن لا مجال لإنكار جاذبية الدعوة. ترى ما الذي يروقها أكثر؟ زيارة كهوف «باديراك» أم قضاء بعض الوقت مع فيل؟ وهل يهم؟ أخيراً صرفت النظر عن الجدال مع نفسها وقبلت الدعوة.

لا شك أن «الدوردوغان» هي من أجمل البقاع في فرنسا، بل في أوروبا كلها.. هذا ما وجدته فيكتوريا عندما كانت تراقب الأراضي الريفية تمر بسرعة وهي في مقعد سيارة الكونت



الأمامي.. تلال مرتفعة مغطاة بالخمائل الخضراء وبالزهور البرية، بين الحين والآخر كانت تلمح نهر «دور دوغان» ذاته ينساب مرة بهدوء كساقية قروية وفي أخرى يهدر ويسرع في عظمة قوية.. إنها منطقة هادئة تنعم بما فيها.

كانت مدام فيران قد وضبت غداء لهم، وعلى مقربة من مكان توجههم، توقف فيل وابتعد عن الطريق ليستمتعوا بطعام النزهة.. لم تأكل أرينا كثيراً وكانت ملهوفة كحال الأولاد جميعهم إلى الحراك..

أصرّ فيل طالما فيكي برفقتهما على التحدث بالإنكليزية لذا كانت الصغيرة تبذل جهداً لتنتقي الكلمات المناسبة.

ـ الصخور.. هل يجب.. لا.. هل يمكن أن أتسلقها؟

هز فيل رأسه:

ـ أجل.. إنما لا تتسلقي مرتفعاً عالياً.

ابتسمت ابتسامة قبول ولكن لاح على وجهها علامات الدهشة والفرح لأنه قبل.

استندت فيكتوريا إلى إحدى الصخور تراقب الطفلة التي كانت تتسلق الصخور بحبور..

جلس فيل في موضع يمكنه من مراقبة أرينا، وتساءلت فيكتوريا إن كانت الصدفة هي التي جعلتهما غير بعيدين عن بعضهما بعضاً سوى أقل من ثلاث أقدام.. كان جسده الطويل يتمدد على البساط ومرفقه تحت رأسه الأسود الشعر.

أعادت فيكتوريا اهتمامها إلى الطفلة:

ـ أبدت أرينا الدهشة لأنك سمحت لها بتسلق الصخور.

التفت إليها بسرعة:

ـ أجل.. عادة تحدّ من نشاطاتها. كيف وجدتها هذا الصباح؟

ـ في البدء شعرت بالخجل وبعدم الراحة مع الأولاد ولكنها سرعان ما تكيفت معهم.

ـ لكنها استمتعت بوقتها.

لم تفهم ڤيكتوريا إن كانت عبارته مديحاً أم سؤالاً.. وربما أراد ڤيل أن يطمئن إلى أنه اتخذ القرار الصحيح لأنه سمح لأورنا بالمشاركة في ألعاب الصباح.

هزت ڤيكتوريا رأسها: أجل.. واثقة أنها استمتعت.. ومن الطبيعي لأنها طفلة وحيدة، أن تكون خجولة في البداية.

اكفهر وجه ڤيل لحظة:

ـ ليس الأمر هكذا..

وصمت.. كأنما يتردد في الرد لكنه قال بصوت خشن:

ـ كان لأورنا شقيقة ولكنها ماتت.

جاءت كلماته بصوت متوتر وبسرعة انفصحت عن عذاب داخلي من غير السهل كشفه.

شهقت: آسفة.. لم يكن لدي فكرة.

ـ كيف تعرفين؟ لقد غرقت كولين ابنة السبعة أعوام منذ ثلاث سنوات.

عندما رأت كم آلمته الذكرى أرادت أن تمد يدها لتلمسه لتواسيه. لكن مثل هذه الإيماءة قد تولد موقفاً حميماً لا تريده.. ولا تريد أن تحس به. وبدل ذلك قالت بلطف:



ـ لا شك أنها خسارة فظيعة.

هز رأسه:

ـ طبعاً.. كانت مأساة كبيرة فكولين كانت طفلة صغيرة مفعمة بالحيوية. منذ ذاك الوقت لم تعد شقيقتي تسمح لأورنا بالابتعاد عن نظرها.. وليس من الطبيعي لطفل أن يتلقى مثل هذه الحماية.

تطلعت ڤيكتوريا إلى أورنا وهي تتسلق صخرة لتلتقط أزهاراً برية نمت بين الصخور..

ـ بعدما فقدت ابنة لا شك أنها تعيش في خوف مستمر من أن تخسر الأخرى.

لحظت عيناه باتجاه عينيها:

ـ أوافقك الرأي.. لكن أورنا تدفع بشكل ما ثمن موت كولين. إنّ رغبة أبويها في حمايتها وحراستها أصبحت بالنسبة للصغيرة قفصاً من ذهب.. إذ يمنعان عنها كل تجربة أو استكشاف خشية أن تصاب بضرر وهذا أمر غير طبيعي. الحياة مليئة بالآلام وبالملذات في آن.

لاذت ڤيكتوريا بالصمت وراحت تفكر في ما قاله ڤيل.. بما أنها من عائلة كبيرة ملؤها الصخب والحماس صعب عليها أن تتصور عالم أورنا المنعزل. ولكن في ما قاله إشارات تتعلق بها.. القفص الذهبي الذي أشار إليه ڤيل منذ قليل، وفي تلك الليلة في المقهى، ألم يكن موجوداً فعلياً؟ أوليس هذا ما تحاول الآن فعله: بناء قفص حول نفسها؟ قفص تريد أن يحميها من الألم وأن يبعد عنها في الوقت ذاته أموراً كثيرة. لا يمكنها الانغماس في البؤس

الذي سببه غايفن إلى الأبد. . وللأسف، جرعة واحدة من البؤس لم تعطها المناعة ضد الألم مرة أخرى. . لكن عليها ركوب هذه كما عليها اغتنام الفرص إذا أرادت المشاركة في الحياة. عليها في لحظة ما أن تفتح الباب وأن تغامر بالخروج من القفص لتبدأ العيش من جديد.

قالت برقة: «أنت على صواب».

ابتسم:

ـ أنا مسرور لأننا اتفقنا على أمر واحد.

بعد دقائق ذهب ليساعد أريا في النزول عن الصخور أما ڤيكتوريا فانشغلت بجمع الأطباق التي وضعتها في السلة. وفيما كانت تطوي البساط فكرت في الصورة التي يقدمها الإنسان إلى العالم الخارجي، وكم من السهل القبول والحكم على شخص ما على أساس الظواهر. أريا، كما هو ظاهر، مجرد طفلة خجولة متحفظة. أما هي نفسها فتحاول تقديم صورة أخرى عن نفسها، تريد الظهور بمظهر المرأة الباردة المسيطرة كما سماها قبل. ولكنها من الداخل هشة ضعيفة عرضة لكافة الأخطار بسبب رفض غايفن. . وقيل. . شخص لا يبدو على حقيقته، إنه جذاب معتد بنفسه واثق منها متعجرف وساحر وداهية وماكر. . ولكنه في الوقت ذاته حساس وعطوف على الآخرين.

كانت زيارة الكهوف تحت الأرض في «باديراك» تجربة ما كانت ڤيكتوريا لتتركها تمر بها ولو مقابل أي شيء في العالم. إنه غار عظيم في جوف الأرض فيه نهر باطني لباديراك. . اضطروا إلى نزول ثلاثمئة قدم للوصول إلى الغار، تطعوها عبر سلسلة من



المصاعد وهناك في الأعماق شعروا بالبرد على الرغم من حرارة الشمس التي تركوها فوقهم. . في القعر، انطلقوا في رحلة استكشاف على طول النهر الجوفي في قوارب مسطحة القعر يجرها مرشدون على طريقة «الجندول» في ڤينيسيا. . بعد ميل وصلوا إلى مرفأ صغير وهناك نزلوا من القارب فصحبهم الدليل في جولة على الشلالات والكهوف المتفرعة. وبسبب الصمت الرهيب والرهبة التي تولدها في النفس هذه الرؤوس الكلسية المدلاة من السقف شعرت بالتأثر الشديد.

لكن الكهوف لم تكن وحدها ما أثر فيها. ففي مرات عدة من بعد الظهر وجدت أنها تمد يدها من غير وعي إلى يد ڤيل الذي كان يساعدها على نزول درجات سلم أو إلى ركوب متن القارب وكانت تتقبل ضغط ذراعه على خصرها وهو يقودها في الاتجاه الصحيح. وكلما كانت بشرتها تلامس بشرته كانت تشعر بالأمان وبذلك التفاعل الكيماوي الذي لم يجد له أحد تفسيراً بين الرجل والمرأة. . كان يسري هذا التفاعل في أحاسيسها ويجفلها من شدته. . والواقع أنها أدركت غريزياً أنه يشعر بمثل ما تشعر به.

حين أوقف ڤيل السيارة قرب الممر الموحل إلى الخيمة، شكرته ڤيكتوريا للنزهة:

ـ شكراً لك على هذه النزهة الرائعة. . لقد استمتعت بها حقاً.

بدت كلماتها جامدة رسمية. لم يلاحظ تحفظها بل مال إلى الأمام وتمتم هامساً في أذنها لئلا تسمعه الطفلة:

ـ هل تريدين حقاً أن تشكريني؟

ـ عفواً؟

ضحك: لا تنظري إلي هذه النظرة المشبعة بالصدمة ڤيكتوريا لأنني لم أقترح شيئاً غير لائق، بل أدعوك إلى العشاء هذا المساء..

صمتت ولكنها أدركت أنها كادت توافق رغماً عنها، كان هذا أكثر من كاف لقبل الذي تراجع قائلاً:

ـ عظيم.. اتفقنا.. سأصحبك في الثامنة.

ـ لكنني لم أوافق.

طافت عيناه الخضراوان فوق وجنتيها المتوردتين وشفتيها المكورتين بلطف. فشعرت بسبب تحديقه فيها بقشعريرة غير إرادية وبخفقات قلبها المتسارعة.. مهما كان الاعتراض اللفظي فقد كان عقيماً أمام تجاوب جسدها. أخيراً أبعدت نظرها عنه والتفتت إلى الطفلة:

ـ باي أوبنا.. أراك في الصباح.

ابتسمت أرينا بسعادة.

وذكرها قبل:

ـ أما أنا فأراك فيما بعد.

وكأنها قادرة على النسيان! فتحت ڤيكتوريا الباب ثم ترجلت من السيارة ولكنها توقفت للوح لأرينا مودعة.

بعد دوش سريع، عادت ڤيكتوريا إلى الخيمة وجلست على حافة السرير. التقطت مرآة يد صغيرة ونظرت إلى صورتها بانتقاد. قسماتها لم تتغير ولكن رغم ذلك يبدو وجهها مختلفاً كل الاختلاف.. مفعماً بالحيوية وحباً أكثر من أي وقت مضى.



أمن الخطأ أن تشعر بهذا الشعور؟ الشعور بالوجود، بالترقب وبالقشعريرة في آن واحد؟ لم تكن لتؤمن أنها ستشعر بمثل هذا التجاوب تجاه رجل مرة أخرى.. لقد حذرها عقلها من مغبة الوقوع في الفخ ثانية.. لكن تجاوب جسدها لم يكن منطقياً بل غريزياً، فهل يمكنها الوثوق بغريزتها؟

ظنت ڤيكتوريا فيما قبل أنها مميزة، ورغم سمعة غايڤن كزير نساء اعتقدت أنها مختلفة وأنها تعني له أكثر من أي مغامرة سابقة. وكم كانت عمياء فطالما حذرها أصدقاءها منه ورفضت الإصغاء..

لم يكن هناك فترة برود.. ولا انخفاض تدريجي كي تحس بما يجري وكي تخرج على الأقل بشيء من الكرامة، بشيء من الوقار.. لا شيء من هذا.

كانت تفكر وهي تتبضع في السوبر ماركت بأن علاقتهما دائمة.. الزواج. إنها تحب غايڤن وتريد أن تكون زوجته. وكم اشتاقت إليه في الأيام الأخيرة! سارعت في شراء ما تحتاجه وعادت إلى المنزل لتحضر له العشاء.

كانت أكياس المشتريات ثقيلة وشعرت أن من الغباء أن تحملها معها إلى عملها ومنه إلى شقتها في وقت كانت شقة غايڤن قريبة من مركز التسوق.. وإن لم تجد غايڤن في الشقة فستستخدم المفتاح الذي بحوزتها وتدخل. ستضع الفاكهة والحلوى في البراد وتشعل الفرن آلياً وتضع فيه الطعام ليتضج وتضع الزهور في المزهرية.. كانت جميع هذه الأفكار بذهنها وهي تدير المفتاح في باب المبنى الأمامي.. لكن أصواتاً خفيفة، جعلتها تتوقف..

لصوص! كان هناك تقارير متكررة في الصحف المحلية عن بعض السرقات في المنطقة.. والشقة الآن خالية منذ أيام.

لكن عندما أرهفت السمع بدأت الأصوات تنضح قليلاً وكأن من بالداخل عشاق! حتى تلك اللحظة لم تشك في شيء.. ولماذا تشك؟ غايڤن مسافر.. واستولى عليها غضب شديد.. غضب من أن يكون شابان صغيران قد تجرآ على اقتحام الشقة واستخدما غرفة النوم بمثل هذه الحرية.

حين فتحت الباب صعب عليها أن تعرف من كان مرتعباً أكثر.. المرأة تدثرت بالملاءة وغايڤن نهض من الفراش وهو يحاول لف نفسه بمنشفة.. أما ڤيكتوريا فتسمرت في أرضها مصدومة يدثرها المنظر أمامها.

اتجه نحوها غايڤن بغيظ تتقصه اللباقة:

ـ ڤيكتوريا.. أنا..

لكنها لم تنتظر لسماع العذر.. التفسير.. الأكاذيب! رمت المشتريات عند قدميه وخرجت من الشقة، مشدودة الفيضتين جافة العينين.

قدمت استقالتها من عملها ولم تلتق بغايڤن إلا مرة انتهت باتهامات مريرة متبادلة.

إنها لا ولن تستطيع السماح لمثل هذه التجربة المريرة بالحدوث مرة أخرى. قيل يشبه غايڤن في نواح عديدة.. من ناحية الطلة البهية والسحر والثقة بالنفس.. يجب ألا تسمح لنفسها بالوقوع في الفخ ذاته مرتين.. لكن كل ما يعرضه عليها هو موعد عشاء.. عظيم.. طالما يتقبل أن هذا هو ما تعرضه عليه



في المقابل.

اختارت فستانها بعناية.. لا تريد أن تظهر بشكل غير رسمي، ولا تريد أن تفرط في الأناقة.. أرادت أن تبدو أنثى بكل ما للمعنى من كلمة إنما بعيداً عن التبرج والتزين.. وبما أنها جلبت معها أربعة فساتين فقط سَهُل عليها الخيار.. اختارت أخيراً زياً قصيراً، لونه زمردي ناسب لون بشرتها وشعرها.

عادت إيما إلى الخيمة في الوقت الذي كانت ڤيكتوريا تتبرج فيه فأطلقت صفارة إعجاب.

ـ إلى أي حفل راقص أنت ذاهبة.. سندريلا؟

حركت ڤيكتوريا أنفها بسخط ساخر:

ـ لم أكن أتجول في خرق ممزقة طوال هذه الأسابيع.

ـ لا.. لكنك لم تكوني بمثل هذه الأناقة.

نظرت ڤيكتوريا إلى فستانها:

ـ أتظنين أنه أنيق كثيراً؟

انهارت إيما على كرسي في الزاوية.

ـ قولي لي من هو «الأمير الساحر» وسأقول لك إذا كنت متأنقة كثيراً أم غير متأنقة.

ـ إنه.. الكونت.. قيل.

ارتفع حاجبا إيما ستة إنشات على الأقل:

ـ آه! إنه قيل.. الآن. أليس كذلك؟

ـ إنه.. لقد صحب أربنا في نزهة بعد الظهر، و.. حسناً! دعاني إلى العشاء، ليشكرني.

ضحكت إيما: لا وحق السماء! فالكونت لا يدعو النساء

للخروج إلى المشاء ليشكرهن.. إنه يدعوهن لأنهن يعجبنه.

عبست ڤيكتوريا: هل يجب أن تصوري الأمر بهذه القسوة؟

- وأين القسوة في هذا؟ لا عيب في إعجاب المرء بشخص ما.. ولكنني فقط أشعر بالغيرة لأنه لم يعجب بي أنا.

ابتسمت ڤيكتوريا.. كان من المستحيل أن تغضب من مزاح إيما. عادت تكمل زينتها فقالت إيما:

- لكن احترسي! أعرف أن الكونت جذاب ولكنه لم يعش حياة ناسك، وأكره أن تتألمي مرة أخرى.

كانت الكلمات تعكس أفكارها بحيث لم تستطع شجبها.. مع ذلك، هذا ما لا تريد التحدث فيه حتى مع إيما.

غيرت موضوع السؤال:

- هل وقع معك ما هو مثير بعد ظهر اليوم هنا؟

تنهدت إيما:

- لا، لم يكد يكون مثيراً.. بلّغ زوجان عن سرقة أخرى ووصلت بالأمس عائلة قالت إنها لم تجد في خيمتها جهاز شوي، ولكنني متأكدة أنه كان في الخيمة جهاز شوي.. أعرف ذلك لأنني وضعته بنفسي، من هنا تبين لي أنه سرق أيضاً.

ارتدت ڤيكتوريا تنظر إليها:

- لماذا يريد أحد أن يسرق جهاز شوي؟ أمر غير معقول.

- الله أعلم.. الأمر كله غريب.. جرت أحداث كثيرة لا تبدو مترابطة، مع ذلك لا شيء يشير إلى عمل سرقة محترفة.

- حسناً، ألا يجب أن نبلغ الشرطة؟

- لا أدري.. إن استمر الأمر على هذا المنوال فسنضطر إلى



الإبلاغ أولاً إلى مدير الموقع الذي سيبلغ الكونت ليتخذ التدبير المناسب.

وضعت ڤيكتوريا بضعة أغراض صغيرة في حقيبة سهرة سوداء.

- لم أدرك أن هناك أشياء كثيرة ضمن إدارة موقع تخييم.

ابتسمت إيما بمكر:

- أعتقد أن من الأفضل أن تركزي على إدارة حياتك في هذه اللحظات!

* * *

## ٦ ـ فخ لا يُقاوم

مرت الرحلة إلى المطعم بسهولة. فلم يحاول قُبل إثارة موضوع شخصي بل راح يشير ببساطة إلى معالم الطريق والأماكن المهمة.. وسط هذه المواضيع العامة، وجدت فيكتوريا نفسها تسترخي. وعندما كان يتكلم راحت تراقبه خلسة من تحت نظارتها القاتمة. يبدو بعض الرجال مضطربين في لباس السهرة أما قُبل فبدا مستريحاً في بزّة السهرة الكحلية كحاله في الجينز والقميص.. لاحظت خطوط جسمه المرنة ويديه الشابتين المسيطرتين على الآلة القوية.. واضطرت إلى جرّ عينيها بعيداً عنه إلى حيث كان يشير إلى شيء هام.

كانت تذهب هي وإيما لتناول العشاء في بعض المطاعم الرخيصة، أما هذا المطعم فلا يقع في الترتيب ذاته.. فهو مطعم مميز كان جوه أنيق وفخم. ألقت نظرة على لائحة الطعام فوجدت أن الأصناف المذكورة هي أصناف غالية الثمن.

ردّ قُبل ترددها إلى صعوبة اللغة.

ـ هل ترغبين أن أترجمها لك؟

ردت بأدب: «لا.. شكراً لك. أعتقد أنني سأطلب طبقاً من الصدف البحري، يعقبه طبق من السمك مع الخضار والخل».



ضحك قُبل: «آسف على تطفلي.. نسيت أنك تعرفين الفرنسية».

أقفلت اللائحة وابتسمت: «لا بأس».

ما إن ذهب الساقي حتى صبّ قُبل اهتمامه على فيكتوريا:

ـ ماذا كنت تعملين قبل مجيئك إلى هنا؟

رغبت فكتوريا في الإجابة.. إنها تريد أن يعرف شيئاً عن ماضيها؟

ردت بخفة: «عملت في شركة قانونية عالمية».

ـ آه.. هذا يفسر معرفتك بالفرنسية.

ـ أجل.. ذهبت إلى معهد سكرتاريا درست فيه الفرنسية والألمانية والإيطالية.. وكنت أشعر بالحماس للذهاب إلى بروكسل للعمل في مؤسسة السوق المشتركة ولكنني اخترت البقاء في انكلترا.

إنها ملاحظة خطرة.. لماذا تركت انكلترا إذن؟ أضافت قبل أن يسأل:

ـ أظنك لا شك قضيت وقتاً كافياً في انكلترا لأنك تجيد الإنكليزية بطلاقة.

في تلك اللحظة وصل الساقي الذي سكب الماء في كوبيهما ثم ابتعد، عندئذ ابتسمت فيكتوريا مترئبة ورفضت السماح له بإبدال سؤالها بسؤال من قبله.. فهو بارع في هذا.

ـ أجل.. كان والدي يحترم نظام المدارس الإنكليزية احتراماً كبيراً لذا سجلني في مدرسة إنكليزية لسنوات عدة.. وأنا مسرور لهذا! قد تكون اللغة الفرنسية جميلة، لكن اللغة الإنكليزية عالمية

ومفيدة من وجهة نظر رجال الأعمال.

ردت مداعبة: «ومفيدة جداً حين تريد مهاجمة مرشدة إنكليزية في الظلام».

تغضنت قسمات الكونت وعبس، لكنه امتنع عن الكلام بسبب وصول الساقي الذي كان يحمل الطبق الأول. حين تم كل شيء التقطت ڤيكتوريا إحدى الصدفات البيضاوية أمامها، وسألت:

ـ هل ارتكبت غلطة بقولي ذاك؟

هز رأسه: لا.. أوشكت أن أعتذر عن تصرفي تلك الليلة. ظننتك شخصاً آخر.

جاء دور ڤيكتوريا لتعبس. سألت: «من؟».

فكّر قليلاً قبل أن يرد:

ـ عملت في شركة قانونية.. ولا شك أنك تعلمين بوجود «التجسس الصناعي».

ـ أجل.. لكن..

ـ مواقع التخييم عمل تجاري في أوروبا. وكل عمل تجاري معرض للتخريب.

خالته في البداية بمزح.. فمواقع التخييم أمكنة يقصدها الناس لقضاء العطلة، بعيداً عن عالم الغش والخداع والتعامل المشكوك فيه الذي تتعرض إليه الصناعات الأخرى.. ولكنه لم يكن بمزح إذ ظلّ وجهه جامداً.

تالت متسائلة:

ـ لكن.. ما الذي جعلك تعتقد أن تخريباً ما قد يتعرض إليه



المخيم.. ولماذا؟

ضحك قيل ضحكة قاسية: «أوافقك الرأي ولكن صدقيني، هذا صحيح كلياً.. استلزم الموقع سنوات عدة لبناء سمعة جيدة ولكن ما أسرع ما تدمر هذه السمعة.. فبعض المنافسين يظنون أن من الأرخص والأسرع تدمير سمعة موقع غودارد على تحسين وسائل الراحة في مواقعهم.. لقد بدأ هذا في السنة الماضية ولكن الأعمال التخريبية لم تكن فادحة الأضرار».

تغضّن جبين ڤيكتوريا:

ـ عندما التقيت بي للمرة الأولى ظننت أن لي يداً في هذه الأعمال؟

ضحك: خطرت لي الفكرة. ففي السنة المنصرمة عيث شخص بمخزون المياه، وهذا ما أزعج الزوار فليس سهلاً أن يفتح المرء المياه الساخنة فيجدها باردة.. لكنني استنتجت أن الجاسوس لن يفزع من خفّاش مسكين.

تذكرت ما حدث وتذكرت أسئلة قيل الفظة وإلحاحه. الآن فهمت سبب تصرفه ذاك.

أزيلت أطباق الصنف الأول من الطعام، ووضعت أمامهما أطباق الصنف الرئيسي. نظرت ڤيكتوريا إلى السمكة الضخمة المطهوة بزيت الجوز والمزينة بنبات «الكمأ» أما قيل فطلب طبقاً من الأوز البري.. ما إن باشرا يتناول الطعام حتى عادت ڤيكتوريا إلى موضوع الموقع.

ـ ما هي طبيعة الأحداث التي تتكلم عنها.. عدا العيث بخزانات المياه؟

هز كتفيه: كما قلت.. لا شيء خطير. سرقات تافهة وإطارات مثقوبة وأضرار طفيفة في السيارات، وأشياء كهذه. لماذا؟ هل بلّغت عن أحداث كهذه؟

هزت رأسها:

- أجل.. وقعت بضع سرقات غير ذات أهمية.

- هذا أمر مألوف.

- وماذا ستفعل في الأمر؟

- لن يُفلت المتآمر من العقاب، لا تقلقي.. يعرف مدير الموقع وبعض الموظفين الكبار ما يجري وهم منتبهون لكل شيء.. في هذه الأثناء، أكون شاكراً لو أبقيت هذا لنفسك.. لا أرغب أن يشعر الزائرون بالخوف ولا أريد أن يعرف المقتحل أننا نشك في الأمر.

هزت ليكتوريا رأسها:

- وأنت تأمل أن تلقي القبض عليه؟

ضحك ولكن دونما لطف:

- لا شأن للأمل في هذا.. لأنني أنوي فعلياً إلقاء القبض عليه.

عندما رفع رأسه مجدداً عن طعامه وجدت أن جو التجهم قد تلاشى عن وجهه وعاد إلى جو السخرية المرحة التي تجد من الصعب مواجهتها.

- دعينا من هذه المشاكل.. أخبريني لماذا تركت الكلترا وجئت إلى فرنسا، للعمل كمرشدة؟

اللعنة! إن لهذا الرجل ذاكرة كذاكرة الكمبيوتر.



- لأسباب شخصية.

- رجل؟

أجفلها السؤال.. وردت بحدة:

- أرى أنك تجمع واحد واحد فيكون الحاصل عندك خمسة.

ثم يتأثر بسخريتها الإنكليزية. ثم تهلل وجهه وقد فهم المعنى.

- ليس الأمر صعباً.. من يرغب في ترك وظيفته ليعمل في وظيفة أخرى تافهة كمرشد في مخيم، هو شخص هارب من شيء ما.. وإن كان هذا الشخص امرأة فالسبب على الأرجح (رجل).

تحرك عقل ليكتوريا المذعور وفكرت كيف تتعامل مع أسئلة قبل بدون أن تصده وبدون أن تفتح فجوة في حياتها الخاصة.. على المرء اكتساب الثقة والاطمئنان لا مطالبة الناس بهما.. إنها مستعدة للعب حسب القواعد.. فلماذا لا يريد هو ذلك؟ وربما أن الأوان لتلعب لعبته هو.

- أتعتبر نفسك خبيراً في هذه الأمور؟ أقرت منك نساء كثيرات؟

ضحك قبل بصوت عميق مثير:

- لم يهربن.. لا.

- يا لتواضعك.. فهل هربت أنت؟ ربما تخاف أن تقع في الفخ.. فخ الزواج.

نظرت إلى ما تبقى في طبقها وتساءلت بصمت: ماذا دهاني؟ أبدو وقحة.. فقد يظن أنني أعرض عليه الزواج.

أحست بعيني قبل تتركزان عليها:

ـ أهذه نظرتك إلى الزواج؟ فخ؟

بدا صوته ناعماً كالمخمل.. فهل هو غير مكترث أم بارد؟

قالت: «أليست هذه نظرة جميع الرجال إليه؟»

ـ قد يصبح أي موقف لا ترغبين فيه فخاً.

ـ لا أعتقد أنك تسمح لنفسك بالوقوع في موقف لا تريده.

ـ اللاإرادة شيء يصعب تحديده.. فنحن أحياناً لا نقوم بأشياء لأننا نريدها، بل لأننا لا نستطيع مقاومتها.

كان صوته منخفضاً أجش تحرك على بشرتها وكأنه أصابع متحركة.

ـ أوليس هذا تلاعباً بالكلام.. مجرد عذر لنفعل ما لا يجب؟

التوى فم نيل في ابتسامة ساخرة:

ـ ڤيكتوريا.. تبدين متزمتة.. ما الأشياء التي لا يجوز لراشد القيام بها؟

ـ لا يجوز لهم أن يخدعوا الناس أو يغشوا.. بعضهم بعضاً.

تغيرت أسارير وجهه واعتلى قسمات وجهه الجد والصدق.

ـ لماذا لا تخبريني عن ذلك الرجل الذي آلمك كثيراً هكذا؟

هزت رأسها: «لا.. لا أريد الكلام عنه».

قال بلطف: «لكنك ترفضين أن تتكرر تلك التجربة».

نعم.. هذا ما تريده. فهي لا تريد الخروج من القفص لتقع بين فكي نمر.. لا تريد أن تهرب من المقلاة إلى النار.

نظر إليها نيل بصراحة:

ـ ڤيكتوريا.. لا تخلو علاقة من ألم.. ولكني أؤمن أن الإخلاص أساسي في كل علاقة، فليس على أي واحد منا إطلاق



وعود لا يستطيع الوفاء بها.

حاولت ڤيكتوريا أن تركز على ما كان يقوله ولكن كيف يمكنها هذا وصوته شق طريقه إلى كيانها لجعله مضطرباً أما قلبها فجعله خافقاً خفقات قوية؟.. آه! لا تريد أن تفقد السيطرة على مشاعرها.

ـ لا أظنك تنجرف في لحظة هوى.

ما إن خرجت الكلمات حتى ندمت على ذلك. لماذا قالت هذا؟ ولماذا يُشعرها وجوده بأنها مراهقة غير ناضجة؟

غطت يده يدها، وقال يتحدى:

ـ ألا تظنين هذا؟

كان صوته ناعماً كالمخمل ويده خطيرة كبراثن النمر.

التقت عيناه عينيها بثبات:

ـ أؤكد لك انني رجل حساس. ولكنني كبير بما فيه الكفاية بحيث يمكنني أن أعرف الفرق ما بين وعود الليل وحقائق النهار. أنا لا أقطع وعوداً لا أستطيع الوفاء بها.. هل تفهمين هذا؟

هزت رأسها إيجاباً وهي تنظر إلى عينيه.. عرفت ماذا يقول واحترمته على صراحته.. إنه يقول لها إنه سيكون صادقاً معها. ولم يعدها بالدوام.. ولكنها غريزياً عرفت أنه لن يخونها كما فعل نايلز.

كسر سعال مكتوم حدة الصمت المشحون العالق بينهما، ورفعت ڤيكتوريا بصرها فرأت الساقي ينتظر أن يطلبا الحلوى.

انتقلت عينا نيل من الساقي إليها.

ـ هل تريدين الحلوى؟

هزت رأسها نفياً لأنها لا تشعر برغبة إلى الطعام.

- جيد.

أشار رده المختصر إلى موافقته مع رغبتها بعدم إطالة مدة الوجبة.

عندما كان فيل يسدد الحساب استغلت فيكتوريا الفرصة وتوجهت إلى غرفة السيدات... رأت وجهها ينظر إليها بشكل غريب مثير من المرآة الكبيرة المحاطة بإطار مذهب على الجدار. كانت كل قسماتها الثائثة بارزة وبدت كما تحب أن تكون. إنثي حساسة، مثيرة.. وهي لا تشك في من هو المسؤول عن هذا المظهر: إنه فيل.

أخافها هذا المظهر لأنه يعكس امرأة منفصلة عنها. إن رد فعل هذه المرأة تجاه فيل ملؤه الحساسية وكأن كيمياء غامضة تربطهما بشكل من الأشكال.. ولكن كيف لمشاعرها أن تتحرك نحوه بعد الجرح العميق الذي سببه ما فعله بها غايلن؟ أهي مستعدة للاستسلام لقوى أساسها الجاذبية وما تمثله من مخاطر؟

أغمضت عينيها وأجبرت عقلها على التركيز، ليس على صورتها الخارجية بل على مشاعرها الداخلية.. هل هو جسدها الذي يتجاوب مع فيل؟ لبعد الكراهية الأولى والعداء، اكتشفت أنها تحترمه وتعجب به كرجل. ففي شخصيته عمق، فهو غير نائي وهو قوي وحساس في الوقت ذاته ولكن هل يخولها إعجابها الانغماس معه بعلاقة؟

قبل شهرين فقط كانت تحب رجلاً آخر. تظن أنها ما زالت تحبه وإن كانت ما تزال على حبه باقية فما هو بالضبط شعورها



تجاه فيل؟ إن المحبة والإعجاب والجاذبية مشاعر قوية ولكنها ليست حباً.

تخاف أن تتألم من جديد.. لكن فيل على صواب: لا علاقة تحمل بين طياتها ضمانة.. وإن أرادت أن تعيش مجدداً فعليها أن تغوص في التجربة من جديد. ولكن أسباب قلقها تتعدى هذا.. فليس الألم هو وحده الذي تخافه فهي ترفض العلاقات العابرة وتمقتها.. فالرغبة بالنسبة لها تعبير عن الحب في علاقة ما، وليست بديلاً عنه.. فخلال حديثهما في السهرة لم يتطرق إلى لفظة «حب» وكيف يذكرانها وكل واحد منهما يجهل الكثير عن الآخر.

ما تحتاجه حقاً هو الوقت.. الوقت لمعرفة حقيقة مشاعرها نحوه ولتعرف مشاعره تجاهها.. ولكن هل سيمهلها فيل هذا الوقت؟

عمّ الصمت رحلة العودة إلى الموقع، وكلاهما على ما يبدو مشغول الفكر. تساءلت هل تجوب أفكاره ذات المتاهات التي تجوبها أفكارها.. لم تفصح قسمات وجهه عن شيء ولم تستطع أن تحزر المنحى الذي تسلكه أفكاره.

عندما أوقف السيارة على الطريق المظلمة المهجورة قرب خيمتها راحت تفتش عن حقيبتها في أرض السيارة وهي مرتبكة، ولكن يد فيل على ذراعها منعتها وبدون أن تنظر إليه عرفت أنها لن تستطيع ردعه.. ارتد وجهها إليه ورفعته فعبقت رائحة عطره في حواسها. التفت يده حول عنقها وشدها إليه أكثر فأكثر ثم طفق يلعن الوضع الذي يعيقهما.

دفعها بلطف عنه وقال بصوت أجش:

- هذا المكان غير صالح أبداً.

هزت رأسها موافقة.

- أجل.. أنت.. أنت على حق.. أنا..

ماذا تقول؟

داعب إصبعه خدها، وشد نظرها إليه مجدداً.

- هذا لا يعني أننا لا نستطيع إيجاد مكان نخلو فيه إلى أنفسنا.

أحست فجأة بالخجل من تصرفها. لقد أعطته في المطعم والآن في السيارة كل الأسباب للاعتقاد بأنها تريده، بل ملهوفة إلى ما هو أكثر من الصداقة. ولكن أهذا ما تريده فعلاً؟

- لكنك تفضلين ألا نقدم على شيء كهذا.

قاطع صوته أفكارها ولكنها لم تجد في صوته الغضب بل التفهم.

- أنت.. لا تمانع؟

بدر عنه ما يدل على الاستنكار.

- وماذا توقعت؟ أن أجرك إلى القصر من شعرك؟ لو كنت أصغر بعشر سنوات لاعترضت كثيراً، ولكن هذه ميزة التقدم في العمر فهو يعلم المرء الصبر.

أرسلت نبرة صوته العميقة ومضمون كلماته، رجفة غير إرادية إلى أوصالها.

لامس ذقنها بلطف.

- الآن.. أظن أن من الأفضل أن تذهبي قبل أن يغلب علي



ظهور رجل الكهف.

هزت رأسها ومدت يدها إلى حقيبتها وفتحت الباب.

تمتم: «شكراً لك.. على كل شيء».

بعدما ترجلت انطلق ڤيل بسيارته على الطريق. لم يقد السيارة ببطء كما تنص عليه تعليمات لوحات المخيم، بل راح يدفعها ويدفع نفسه إلى أقصى حدود السرعة. منذ سنوات اكتشف أن الانطلاق بسرعة قد يوفر بديلاً معقولاً عن المشاعر الجامحة، ولكنه يعرف أن السرعة لن توفر له بديلاً هذه الليلة.

ليس صعباً عليه التغلب على تردد ڤيكتوريا. ولكن الخبرة علمته أن العلاقة التي يحدها الشك والقلق هي علاقة نادراً ما تكون مرضية للنفس... في هذا الوقت ڤيكتوريا تحس بنار التجربة السابقة تحرقها. لكن الألم، ألم الحب يتلاشى بالتدريج.

* * *

# ٧ ـ بين اليأس والأمل

كان ملء الأسبوعين التاليين النشاط والسرور فقبيهما انشغلت بعملها كمرشدة في النهار. أما الأمسيات الذهبية فكانت تمضيها مع نيقيل. واستمرت أرينا بالانضمام إلى نشاطات الصباح فراحت تكتسب الثقة بالنفس والحماس. أحياناً كانت أرينا تمضي نهارها كله مع ڤيكتوريا، وأحياناً كانوا ثلاثتهم يمضون فترة بعد الظهر معاً. وكم شعرت في هذه الفترة بالراحة والسعادة. حاولت عدم التفكير كثيراً في المستقبل أو الماضي. بل وجّهت نفسها لتتمتع بالحاضر. كان إعجابها واحترامها. وانجذابها إلى نيل ينمو كل يوم. راقبته وهو يعمل وراقبته وهو يعتني بابنة أخيه وراقبته وهو يتصرف معها تصرف الحبيب.

كان صادقاً في وعده إذ لم يحاول دفع علاقتهما إلى ما هو حميم، ولكن ڤيكتوريا عرفت أنه رجل لا يقدر على الانتظار إلى ما لا نهاية.

في الأسبوع الثاني وبالتحديد مساء الجمعة وافقت ڤيكتوريا على مجالسة ابنة أسرة كرستون الصغيرة، آني، التي تصادقت مع أرينا منذ قصدت هذه الصغيرة النادي. لكن نيل لم يكن سعيداً بهذا الخبر.



بعدما قرأت قصة على آني وضعتها في السرير، ثم توجهت إلى الخيمة المخصصة كغرفة جلوس. جلبت معها أوراقاً وقلماً لأنها قررت كتابة رسائل إلى عائلتها وكانت على وشك الانتهاء من كتابة إحدى الرسائل حين سمعت صوتاً. نظرت إلى ساعتها: إنها التاسعة والنصف.. هل جاء والدا آني؟ غريب فما زال الوقت باكراً.

هبّت من مكانها لتتقصى الأمر. نظرت من النافذة البلاستيكية ثم فتحت سحاب الباب بسرعة فلاحظت أن إيما وروبن في الخارج.

سألتها إيما:

ـ هل أخفناك؟ لم نرغب في ندائك لئلا نوقظ آني.

علا وجه إيما شيء من الحماس المكبوت.

ـ ڤيكتوريا.. يجب أن تذهبي فوراً إلى المقهى.. تلقيت مكالمة هاتفية.

بدا صوتها غريباً حقاً.

سألت ڤيكتوريا:

ـ مكالمة هاتفية.. ممن؟ هل هما والداي؟

ـ لا أعرف.. اذهبي واعرفي بنفسك.

صرخت ڤيكتوريا:

ـ اسمعي.. إذا كنت تمزحين..

ـ لا أنا لا أمزح.. اذهبي.

نقلت ڤيكتوريا بصرها من أحدهما إلى الآخر. هل يحل يوم كذبة نيسان في وقت مختلف في فرنسا؟ هل هي ضحية خدعة ما؟

ـ ولكنني أجالس آتي ولا أستطيع تركها.

دفعتها إيما نحو الباب: «سأبقى معها حتى عودتك».

انطلقت ڤيكتوريا إلى المقهى تفكّر وتفكر... ما إن وصلت إلى المدخل حتى نظرت إلى أجهزة الهاتف الموضوعة في الجهة الأخرى من منصة بيع المشروبات. دنت من الهاتف ولكن غريب! السماعتان غير مرفوعتين.. إن كان الاتصال من الكلترا فلا شك أن المتصل ضجر من الانتظار وقطع الخط.

ترددت أتتصل بأهلها أم تنتظر. في هذه اللحظة تعالى صوت من ورائها:

ـ مرحباً حبيبتي.

استدارت كإنسان آلي لتواجه آخر شخص توقعت رؤيته.. كان يبتسم لها تلك الابتسامة التي تعرفها جيداً، ابتسامة الإغراء والحميمية.. ما زال الشعر الأشقر الفاتم متجعداً على ياقة السترة المخملية وما زالت العينان الزرقاوان مغمضتين عند المآقي.

ـ مرحباً ڤيكي.

حباها باسم الدليل وكأن لا وجود لأي خلاف بينهما.

ـ مرحباً غايڤن.

أمسك بيدها وشدها لتجلس في تجويف جداري فارغ، ثم جلس إلى جانبها فشعرت بحرارة ساقيه قرب ساقيها.

إنها تحلم.. كيف جاء غايڤن إلى هنا؟ كيف برز وكأنه سراب في صحراء؟ ولماذا تجلس هنا بهدوء قربه وكأن شيئاً لم يحصل بينهما؟

دس غايڤن كوباً من العصير في يدها.



ـ تبدين كمن شاهد شبحاً.

ارتشفت ما في الكوب فابتعد الجفاف عن حلقها. ارتفعت يده ثم مكثت على كتفها.

أمسكت ڤيكتوريا الكوب بقوة بين أصابعها. إنها بحاجة إلى لمسه لتقتنع بأن هذا واقع لا خيال..

أمسك خصلة شعر ذهبية بين أصابعه:

ـ قصصت شعرك.

ـ أجل.. أنا.. أحببت التغيير.

ماذا تفعل؟ ماذا تقول؟ لماذا تجلس هنا تتحدث ببساطة إلى الرجل الذي آلمها كثيراً.. تولي له إنك قصصت شعرك لأنك أردت تدمير كل ما لمسه.. ارتشفت رشفة أخرى من العصير وأحست ببرودته توتر أعصابها.

سألت: «ماذا.. تفعل هنا؟»

آخر مكان توقعت أن ترى غايڤن فيه هو مخيم فودارد.

ضحك بصوت مثير:

ـ وماذا يرأيك أفعل هنا يا حبيبتي؟ جئت من أجلك.

في تلك اللحظة وقع عليهما ظل فرفعت نظرها لترى إيما ووجهها قاتم أسود من الصدمة.

ـ من الأفضل أن تعودي إلى الخيمة حالاً. إنها آتي.. لقد اختفت.

ما هي إلا لحظة حتى دفعت ڤيكتوريا الطاولة من أمامها وهبّت واقفة.

ـ ماذا تقصدين بـ.. اختفت؟

ـ هكذا.. وجدت باب الخيمة مفتوحاً، وعندما دخلت لألقي عليها نظرة لم أجدها.

تضاربت الأسئلة في رأس ڤيكتوريا.. كيف لآني أن تختفي من الخيمة بدون أن يلاحظ إيما وروبن هذا؟ هذا مستحيل..

ـ إنها مختبئة بدون شك في مكان ما.

ـ لا.. فتشت أنا وروبن كل مكان في الخيمة.. إنها ليست هناك، ثم طلبت من روبن أن يبحث في الخارج.

استوعب غايڤن الموقف الطارىء فأسرع يمسك مرفق ڤيكتوريا واتجها نحو الباب. بعد ذلك حثّ الثلاثة الخطى.. خلال هذا الوقت طلبت ڤيكتوريا من إيما قصّ ما حدث بالضبط. ولم يكن هناك الكثير لتضيفه فلم تسمع هي وروبن شيئاً غريباً ثم اكتشف أن الطفلة غير موجودة.. راح عقل ڤيكتوريا يفكر ويحلل.. كيف لفتاة صغيرة أن تختفي من خيمة تحت نظر راشدين؟ هذا مستحيل. أيمقدور الخاطف الدخول من الخلف؟ هل غيّر المسؤول عن السرقات التافهة والأضرار الأخرى تكتيكه وقرر تنفيذ عمل درامي؟ عليها المحافظة على هدوئها، فلا بد من وجود رد بسيط على هذا.

ما إن وصلوا حتى قابلوا روبن في الخارج.

ـ لقد بحثت في كل مكان.. ليست هنا.

حاولت ڤيكتوريا مقاومة ذعرها:

ـ ربما هي خائفة.. إنها لا تعرفكما.. دعوني أحاول.

أضافت بصوت هادىء:

ـ آني.. لا بأس عليك.. إذا كنت مختبئة فاظهري، لن



يغضب منك أحد حبيبتي.

ولكنها لم تتلق رداً.

صدم ما حدث ڤيكتوريا.. لقد اختفت طفلة وضعت في عهدتها.. ازداد ذعرها وشعورها بالذنب، ترى ماذا أصابها؟ حاولت بيأس التفكير بصفاء:

ـ لا فائدة.. يجب أن نخبر شخصاً آخر.. علينا القيام بحملة تفتيش ثم علينا إخبار الأبوين. روبن، اذهب وأحضر مدير الموقع الذي قد نجده في مكتبه.. إيما، اذهبي وفتشي الخيم الأخرى واسألي ما إذا سمع أحدهم صوت طفلة تبكي أو صوتاً مشبوهاً.. إياك أن تلقي الرعب في قلوب الزوار.. سنبقى هنا في حال عودة آني. إنها تعرفني ولن تخاف مني.

هرت كتفاها ما إن ابتعد روبن وإيما، وهددت الدموع عينيها.. إن حدث للطفلة شيء فلن تسامح نفسها أبداً.. عندما التفت ذراع غايڤن على كتفيها لتدعمها نفسياً تقبلتها بامتنان. إنها بحاجة إلى دفء رجل آخر لتتغلب على برودة الرعب التي تزحف إلى أوصالها.

بدا أن دهراً مر قبل أن يعود روبن ووراءه المدير السمين القصير وشخص ثالث طويل وقوي.. ڤيل! لم تتوقع ڤيكتوريا رؤيته ولكن كم أذهلها الشعور بالراحة الذي عمّ قلبها ما إن رأته.. الحمد لله.. إنه يعرف ماذا يفعل.

نسيت ذراع غايڤن على كتفيها، ولم تتذكرها إلا عندما لاحظت امتناع وجه ڤيل.. وقف على مقربة منها ولكنه ذكرها بشكل غريب بما بدا عليه في لقائهما الأول، ومتباعداً متحفظاً

كذلك. في اللحظة عينها وصلت إيما مع امرأة تسكن الخيمة المجاورة.. جسمها السمين متوتر وملء صوتها الانهام.

ـ لا يدهشني أن تختفي الطفلة.. وليس غريباً ألا يسمع هذان شيئاً أبداً.. نسبة للأصوات التي كانت تصدر عنهما.

نقلت ڤيكتوريا بصرها من المرأة إلى إيما التي تورد وجهها بفعل الإحساس بالذنب.

سأل ڤيل بقسوة: «ماذا تقصدين؟»

ترقرقت شفتا المرأة سخطاً..

ـ أمر يثير الصدمة.. هذا ما أسميه.. كنا أنا وزوجي نسمع أصواتهما من خيمتنا.

أردفت بفرف:

ـ يسمون أنفسهم جلساء للأطفال.. ولكن هذين الشخصين غير نافعين أبداً لهذه المهمة.

اتجهت أنظار ڤيل بقسوة إلى المجموعة الصغيرة.

ـ من كان الجليس هنا؟

ابتلعت ڤيكتوريا ريقها بصعوبة:

ـ أنا.. لكن..

لم يمهلها الوقت لتضيف:

ـ وقري عليّ سماع كلمة لكن.. ما الذي حدث؟

استعادت إيما تماسكها أولاً.

ـ إنها الطفلة آني.. لقد اختفت.. فتشنا كل الخيمة وناديناها ولكننا لم نجد لها أثراً.

قوّم ڤيل الموقف في لحظة ثم أخذ زمام الأمور بيده،



وخاطب مدير الموقع: «جاك».

أضاف كلمة فرنسية سريعة، وأمر بجمع الرجال مع المشاعل للبدء بالبحث عنها. قبل أن يذهب جاك ارتدّ ڤيل إلى ڤيكتوريا.

ـ أتعرفين إلى أي مطعم ذهب الأبوان؟

ـ لافونتان.

أعطى ڤيل تعليماته لجاك، ثم أسرّ إليه ببضع كلمات.. بعدما ذهب المدير دنت منه ڤيكتوريا تسأل بهدوء:

ـ وماذا عنا؟ ماذا نفعل؟

تكوّر فم ڤيل بفرف.

ـ ألا تعتقدون أنكم قمتم بضرر كاف في ليلة واحدة؟ ماذا كنت تفعلين؟

انتفضت بسبب نظرته الحقودة، تعرف أنها أخطأت عندما تركت موقعها ولكنه يسيء الظن بها.

ـ أرجوك ڤيل.. فهمت الأمور على نحو خاطىء.

كانت تهمس له الكلمات لئلا يسمع الآخرون شيئاً. كانت تحاول الوصول إلى ڤيل الذي تعرفه وليس إلى هذا الغريب البارد المتباعد.. وبسبب هذا البُعد المتعمد منه تخلت عن محاولتها للشرح، فكل ما يهم الآن هو الطفلة.

ـ أرجوك.. تريد أن تساعد.

كان ملء النظرة التي رماها بها الاشمئزاز الصريح، ولكن التعقل أملى عليه وجوب الاستعانة بكل مساعدة وأشار إلى إيما وروبن، وغايفن:

ـ أنتما.. اذهبا إلى المبنى الأساسي وتشا هناك.. الطفلة

تعرف طريقها إلى هناك.. ومن المحتمل أن تخرج للبحث عن والديها.. وبما أنه لم يكن في الخيمة من يرعاها..

ونظر إلى ڤيكتوريا:

ـ وأنت.. تعالي معي لأن الطفلة تعرفك وقد تستجيب لك إن ناديتها أنت.

أوضح بهذا أن مرافقتها له هي ضرورة.

أردف: سنحاول البحث في الغابة فقد نجدها هناك.

تبعته وقالت له:

ـ ڤيل.. أنت لا تفهم.

ارتد إليها بقسوة: «على العكس.. ڤيكتوريا أفهم جيداً».

أقفل بذلك على الموضوع.

ابتلعت ريقها بصعوبة:

ـ أرجوك ڤيل.. دعني أشرح.. لم أكن..

سمعا طقطقة غصن فانتفضا. عندئذ وضع أصابعه على فمه يشير إليها أن تصمت.. تسمّرا هناك في مكانهما وراحا يترقبان الصوت.. ولكنه لم يتكرر. أشار ڤيل عليها بأن تنادي آني. تمرّدت لسانها على شفتيها الجافتين، ونادت بصوت رقيق.. لا جواب. نادت مرة أخرى.. لا شيء.

هز ڤيل رأسه وتمتم:

ـ ربما ثعلب.

ارتد يسير في الممر، فلحقت به ڤيكتوريا بصمت. فما فائدة الشرح الآن؟

كانت الغابة صامتة مخيفة وبدت الأشجار الجذابة الرشيقة في



ضوء النهار واقفة كأشكال مراقبة، شريرة، في الظلام.. من غير المعقول أن تأتي آني إلى هنا بمفردها.. فهل جلبها أحد إلى هنا؟ أرادت أن تصيح وأن تنكر هذا الاحتمال.. أرجوك.. أرجوك ربي، لا تدع شيئاً يحدث لها.

بحث ڤيل بكل طاقته وكان يتوقف كل بضع لحظات، ويبحث بين الأعشاب النامية وينادي آني. أخيراً انتهت أشجار الغابة، وعلى بعد باردات بدا سطح الماء في البحيرة يلمع وكأنه سطح مرآة في ضوء القمر.

البحيرة! ڤيكتوريا لم تفكر في هذا الخطر!

المكان يعيد على الطفلة؟

ما هي إلا نظرة واحدة إلى وجه ڤيل حتى أدركت ما يدور في رأسه.. منذ ثلاث سنوات.. ابنة أخته.. شقيقة أوبنا..

غرلت.. يا للذكريات الرهيبة التي يحييها هذا المنظر؟ ودت لو تضمه إلى صدرها لتواسيه وتطمئنه. ولكن تعابير وجهه دلّت على أن تلك الحرية التي استمتعت بها الأسبوع الماضي، قد أصبحت بعيداً عن منالها.. لماذا لا يصغي.. لماذا لا يدعها تشرح له؟ لكن كيف تشرح له سبب وجود غايلن؟

حاولت بلطف تلطيف مخاوفه:

ـ لا أظن أن آني قادرة على اجتياز هذه المسافة بمفردها. إنها صغيرة جداً، وفي الليل ستخاف من الغابة. أظنها ذهبت إلى مكان تعرفه..

وتلاشى صوتها.. أهي تفاهات ما تتفوه به؟ أتحاول أن تطمئن نفسها قبل أن تطمئن ڤيل؟

هز رأسه وأحست أنه يريد التخلص من هول الذكريات..

ارتجفت ڤيكتوريا. لقد نسيت أن تجلب معها سترتها وأثرت برودة الليل في جسمها وفي أعصابها.. ولكن ڤيل نزع سترته وأعطاها إياها لتحاول الرفض:

ـ لا.. حقاً.

ـ يكفي ما تسببته لنا من مشاكل.. فلا تزيدي عليها مرضك.

وضعت السترة حولها بجفاء.. سحقاً له! سحقاً! واللعنة عليها لأنها تهتم بما يظنه بها.

عادا بصمت إلى المخيم يجرجران أذيالهما.

كان الزوجان كرستون قد عادا فراح ڤيل يحدثهما على انفراد. بعد قليل سمعت ڤيكتوريا نحيب السيدة كرستون فأرادت أن تبكي هي أيضاً.. حين خرج ڤيل استدعاها.

ـ سنضطر إلى استدعاء الشرطة.. من الأفضل أن ترافقيني إلى المكتب لتصفي لهم بدقة ما كانت ترتديه.. أنت آخر من شاهدها.

هزت ڤيكتوريا رأسها مخدرة الإحساس ثم سارت معه بصمت إلى المركز.. ما إن تحضر الشرطة حتى تأتي الصحافة.. وعندئذ ماذا عن سمعة مخيم غودلاود؟

ـ يؤسفني ما حدث ياڤيل.

لا جدوى من هذه الكلمات.. ولكنه لم ينظر إليها وهو يتمتم ببرود:

ـ وأنا آسف أيضاً.

كانا قد وصلا إلى ملتقى الطرق، حيث تتفرع الطريق التي



تؤدي إلى منطقة لعب الأطفال. عندئذ برقت فكرة في رأسها.

ـ ملعب الأطفال ڤيل.. تعرف آني طريقها إلى هناك.

لم ينتظر ڤيل لسماع المزيد من المنطق.. وهز رأسه بسرعة:

ـ حسناً.. فلنحاول.

وأخذ يركض وڤيكتوريا تجري مقطوعة الأنفاس خلفه.

وصلا إلى الملعب، فلم يجدا فيه أثراً.. بعد الأمل جاء الإحباط واليأس..

أشارت نحو الظليلة: فلنفتش هنا.

راح ڤيل يحرك المشعل داخل السرداق الكبير، أخيراً التقط النور بقعة من قماش وردي.

اندفعت ڤيكتوريا بين الطاولات والكراسي.. وهناك وجدتها تغط في النوم وعرفت ڤيكتوريا أنها لم تشعر قط بمثل هذه الراحة.. اجتاحتها الراحة في موجات متعاقبة شاملة. وما هي إلا لحظة حتى جثت على الأرض فرفعت الطفلة المسترخية واحتضنتها بين ذراعيها ثم أجهشت بالبكاء.

انحنى ڤيل هو أيضاً وراح يلمس شعر آني الأشقر.. بعدما بكت وبكت لتنفس عن الضغط الذي شعرت به في الساعتين المتصرمتين أخذ الطفلة إلى ذراعيه.

* * *

## ٨ ـ خسرت الماضي والحاضر . . .

نامت ڤيكتوريا نوماً متقطعاً ومع أنها وجدت أني سالمة لازمتها الكوابيس طوال الليلة. وعندما استيقظت فجأة شعرت للوهلة الأولى أن الكابوس حقيقي، ثم تنبهت من نومها.

بعدما وجدا أني تلاشى التوتر.. فشعر الجميع بالراحة وتفوهوا وهم يتبادلون أطراف الحديث عن هذه التجربة. أوصل الطفلة إلى أبويها بمفرده أما هي فلم تحاول الشرح أو الاعتذار من جديد.

عرض روبن وجيل أن يقوما بمهمات إيما وڤيكتوريا في الصباح وبما أن اليوم هو السبت وهو يوم عطلة في نادي الأطفال انفقت هي وغابڤن على الالتقاء وقت الغداء ليتكلما.

ما إن أصبحنا في الخيمة حتى بدأت إيما بالاعتذار عما حدث ليلة أمس.. وأشارت إلى موضوع غابڤن:

ـ بدا لي الأمر رومانسياً في البداية.. على أي حال لقد سافر مسافة خمسمئة ميل ليراك.

تنهدت ڤيكتوريا التي لم تستطع تصور الصورة الشاعرية التي قدمها غابڤن عن نفسه وقدرته على الإقناع. وهذا ما لا تستطيع لوم إيما عليه.. بل تلومها على اختفاء أني.



أني نفسها كانت متعبة بحيث لم تستطع تقديم إيضاح عما حدث، ولكن ڤيكتوريا كانت متأكدة أن اليوم التالي سيحمل معه إيضاحاته.

حين بدأ نور الصباح باختراق ظلمة الليل تخلت ڤيكتوريا عن الادعاء بأنها نائمة ونظرت إلى ساعتها.. إنها السادسة. أحست بخدر في جسمها واسترخاء وثقل في رأسها. لم تعد تستطيع الاستلقاء وعقدة الذنب والقلق بحطمانها.. ثمة طريقة واحدة لتخفف مما تشعر به.. السباحة.. في الأيام العادية كانت تستيقظ باكراً وتذهب إلى المسبح الذي يكون مهجوراً في مثل هذا الوقت، فتنعم بالسباحة.

تسللت بهدوء لئلا توقظ إيما وارتدت ثوب سباحة من قطعة واحدة، وحملت منشفتها المتعددة الألوان.. كما توقعت كانت البركة مهجورة.

لم تتوقف ڤيكتوريا أمام حافة المسبح، خلعت منشفتها على كرسي ثم غطست في المياه وراحت تسبح من طرف البركة إلى الطرف الآخر. كانت ذراعاها تتحركان برشاقة وتناغم.. بعدما قطعت المسبح عدة مرات توقفت ورفعت نفسها لتجلس على حافة المسبح.

تناهى إلى مسمعيها رفع أقدام فرفعت ڤيكتوريا عينيها ثم فتحتهما على مداهما ما إن رأت الشخص الذي استيقظ باكراً أيضاً.

لو حدث هذا اللقاء في الأسبوع الماضي لمازحته.. ولكنها في هذا الصباح لا تشعر برغبة في المزاح.. هو أيضاً لم يبدُ

بمزاج رائق.. احتاجت إلى بذل جهد لترد عليه نظرته.

تباطأت خطواته قليلاً، ولكنه لم يتوقف حتى أصبح إلى قربها وراح ينظر إليها.

- أتستمتعين بمياهج غودارد ڤيكتوريا؟ استفيدي منها ما وسعك إلى ذلك سبيلاً لأنها قد تكون آخر فرصة لك.

سألت عايسة: «ماذا تعني؟»

ضحك ضحكة جافة:

- إذا كنت تظنين أني سأسمح لأية مرشدة بالانغماس مع عشيقها انغماساً يجعلها تنسى الطفلة التي ترعاها، فأنت مخطئة.

لم تعرف ڤيكتوريا ما الذي أغاظها أكثر.. إهانته لأنه استخدم لفظة «عشيقها» أم لأنه بلومها على اختفاء آني، ولكنه في كلتا الحالتين مخطىء.

هبّت على قدميها وردت بعنف: «ليس غايڤن عشيقي!»

التوى فمه بابتسامة هازئة:

- حبيبك إذن؟ لماذا تتجادل بشأن التسمية وكلانا يعرف بالضبط ما هي علاقتكما؟

- ليس حبيبي ولا عشيقي.

إنها لا تعرف فعلاً كيف تصف غايڤن.

مرر أصابعه في شعره:

- عشيق.. حبيب.. صديق.. أنا لا أهتم البتة بالوصف الذي تصفين به علاقتك.. لكن ما أهتم به هو هذا الموقع وما يعرّضه تصرفك من خطر على الموقع لهذا أريد إبعادك.

كيف يجرؤ على تهديدها بالصرف من العمل؟



- ليس لك السلطة..

قاطعها بنفاد صبر:

- بل لي مطلق السلطة! قد تكونين موظفة في شركة التخييم الصيفي ولكن هذه الأرض أرضي، ولي الكلمة الفصل في كل من يعمل فيها.

أشعرتها لهجته بالغضب.. فكيف تحوّل إلى شخص غريب؟ لا.. ليس غريباً فحسب بل أسوأ غريب قد تلتقيه يوماً.. كيف يجرؤ على إلقاء مثل هذه الاتهامات والافتراضات والأحكام اللاأخلاقية جزافاً؟

صاحت قبل أن تستطيع منع الكلمات:

- كيف تجرؤ على تهديدي.. أيها.. أيها المتعجرف!

رمى رأسه إلى الوراء ضاحكاً:

- لن تؤثر بي إهاناتك الإنكليزية.

- إذن سأحاول إهانتك بالفرنسية.

فتشت في رأسها عن كلمات فرنسية مختارة تؤدي وتدل على مدى سخطها ولكنها لم تجد ما هو قوي كفاية ليعبر عما تريد أن تقوله.. هي آسفة لأن معهد السكرتاريا لا يقدم دروساً بالإهانات ضد المتعجرفين الفرنسيين.

توقف قبل فجأة عن الضحك:

- إنسي المزاح ڤيكتوريا لقد برهنت بعدم قدرتك على تحمل المسؤولية لذا لا أريدك في الموقع بعد الآن.

- لكنك تستنتج ما يحلو لك.. ولا تعرف حتى ماذا حدث.

- لا حاجة لي إلى الاستنتاج.. لدي الدليل، كنت موجوداً

ألا تذكرين؟

هزت رأسها.

- أرجوك قبل، دعني أشرح لك.

- ليس هناك ما يحتاج إلى شرح. كنت تستقبلين عشيقك فيما المفترض بك السهر على طفلة وكانت النتيجة كارثة. هذا كل الشرح الذي أحتاجه.. ولا أهتم بأعذارك.

جنت ڤيكتوريا غضباً بسبب إهانته وارتفعت يدها عن غير وعي فصفعت وجهه. كانت ردة فعلها سريعة، لكنه كان أسرع منها فارتفعت يده ونبتت يدها في الهواء. وما هي إلا لحظة حتى اشتبكا في صراع غير متكافىء.. أفقدتها الحركة توازنها فوقعت في المسبح ومعها قبل. أعادتهما الصدمة التي ولدتها المياه الباردة إلى رشدهما. وما إن ظهرا فوق الماء حتى سبحا إلى الحافة.. رفع قبل نفسه أولاً، ثم مد يده يشد ڤيكتوريا إلى الخارج.

بعد هذا لا تدري ما حدث تالياً.. ففي لحظة كانت واقفة قرب المسبح والمياه تتساقط منها ويدها في يد قبل، وفي اللحظة الثانية كان يشدها إليه بجفاء وقسوة.. حاولت الابتعاد عنه ولكن يده تركت يدها والتفت حول قدها فشدتها إليه بتملك لا يُقاوم.

لوت رأسها من جانب إلى آخر لتتجنب هجومه الشرس.. لكن يده الأخرى ارتفعت لتدفن نفسها في شعرها وأجبرتها على عدم الحراك.

هذا ليس حباً، إنه محاكاة ساخرة لما كان بينهما في الأسابيع المنصرمة.. حتى الآن كان يعانقها بدون قوة وبدون عنف لذا صدمها ما يفعله الآن.. بدا كل جزء في كيانها متصلاً به ويقوته



التي لا تسعى إلى التوافق أو القبول بل إلى السيطرة بالقوة المطلقة.

في لحظة نظيعة ظنت أنها لن تستطيع التنفس، وأنها سوف تفقد الوعي.. ثم بفعل ساحر، توقف الضغط، وحل قبل السحب الماهر مكان الغريب المتوحش..

اجتاحت كيانها موجة من الدفء صعدت من القلب فأشعرتها بسعادة، وجعلتها تخفف مقاومتها.

ظنت أن كل شيء عاد إلى ما يرام بينهما، وأنه فهم الرسالة بطريقة بديهية. ولكن عندما ابتعد عنها فجأة ووضع يديه على كتفيها ودفعها عنه بعدم اكتراث وبقظاظة.. وراحت عيناه ترسلان رسالة مختلفة..

- يا له من تصرف مقنع ڤيكتوريا. أنت ممثلة ممتازة. وحت تتكلمين عن حاجتك إلى ولد فكدت تقنعيني.. تقنعيني أنا الذي ظن نفسه متيماً أمام الإغواء الخادع.. ولكن لا تظني أبداً أن هذا «الاستعراض» سينجح معي.. لا أنكر أن فتنتك تغريني، ولكني لا أقوى صبراً حتى أرى ظهرك لآخر مرة.

لو ضربها لما شعرت بمثل هذه الصدمة.. فكل كلمة تطق بها كانت تطعنها كالسكين.. ارتدت إلى الوراء يعبداً عنه وكأنه ضربها فعلاً.. ثم التقطت خفها ومشفتها بلا تردد وارتدت على عقبيها قاصدة خيمتها والدموع تتدفق على وجنتيها.

حين وصلت ڤيكتوريا كانت إيما مستيقظة فسألتها: «أين..»

ثم رأت حالة ڤيكتوريا وكربها.

- ڤيكي.. ماذا حدث بحق الله..؟

لم تستطع أن ترد لأن النحيب هز جسدها كله ولكن كرامتها منعتها من قول ما جرى بالضبط.

- رأيت ليل وطلب مني الرحيل.. لأنني.. بسببي.. ليلة أمس.

التقت ذراعا إيما حولها:

- آه.. لا! إنها غلطتي. سأقصد، لأصحح معلوماته.. إن كان على أحد أن يرحل، فهو أنا..

ارتفع وجه ڤيكتوريا المغرورقة بالدموع:

- لا.. لا.. أعتقد أن من الأفضل لي أن أرحل.

بدا القلق والتعاسة على وجه إيما:

- ڤيكتوريا.. أرجوك! إنه تصرف سخيف فالغلطة غلطتي..

كان عليّ أن أتحدث عن الأمر ليلة أمس.

- لا.. صدقاً.

ولكن إيما أصرت بحزم:

- إنها غلطتي ولن أسمح لك بتحمل الملامة. إذا كان على إحدانا الرحيل فأنا التي يجب أن ترحل.

ما إن خرجت إيما حتى خلعت ڤيكتوريا ثوب السباحة بأصابع مرتجفة وارتدت جينزاً وبلوزة، ثم بدأت بجمع أغراضها.. لأنها لن تستطيع البقاء مهما كانت نتيجة زيارة إيما للفيل.

بعد ساعة أطلت جوليا برأسها من زاوية باب الخيمة وابتسمت مشجعة.

- يريد الكونت رؤيتك في مكتب المدير.

بدت رحلة المئة بارد غير متناهية وهي تجرجر رجليها



وشعرت بثقل في قدميها. ما إن دخلت إلى مكتب المدير حتى أحست بتوتر لم تظن قط أنها قد تشعر بمثله وهناك في المكتب وجدت أسرة كرستون وروبن وإيما، وقبل.. رفضت ڤيكتوريا أن تنظر إليه، لكنها اضطرت إلى ذلك حينما خاطبها بشكل مباشر:

- يبدو أننا ألقينا عليك اللوم ليلة أمس وكنا مخطئين في ذلك.. لأنك لم تكوني جليسة آني وتلك.

- هذا صحيح. مع ذلك تقع المسؤولية عليّ، فما كان عليّ أن أترك آني أبداً.

- موافق.. ما كان يجب أن تتركيها.. ولكنك لم تكوني معها عندما اختفت فعلاً.

ارتفع ذقنها بتحد: «لا، لم أكن..».

سأل بصوت فظ: «إذن لماذا لم تخبريني بهذا؟!»

- لم تترك لي فرصة.. وفي ذاك الوقت لم يبد لي مهماً هذا الأمر بل كان اهتمامي الرئيسي منصباً على إيجاد آني.

قاطعهما السيد كرستون:

- أرجوك كونت غوداره، اسمح لي أن أقاطعك.. أعرف أن ما حدث ليلة أمس كدرنا جميعاً وبشكل رهيب..

ضغط على يد زوجته:

- ولكننا وجدنا آني سالمة، والآنسة كروز قد شرحت لنا ما حدث.. ومع أنني لا أوافق على ما جرى، إلا أنني أعترف أن ابنتي مخطئة أيضاً. لقد أوصيناها بعدم مغادرة الخيمة إلا معنا.. لذا هي ملومة. أشعر أنا وزوجتي أن ما حدث سبب إزعاجاً كاذباً للجميع، ولا نريد أن يطول الأمر أكثر من هذا.

طافت عينا ڤيل وهو ينظر على الجالسين الذين بدت عليهم جو من الإثارة وكأن الجميع ينتظر ما سيقولونه.

- إنه كرم أخلاق سيد كرستون.. وبناء على ما قالته الآنسة كروز أقول إن حادثة ليلة أمس لن تتكرر، وبناء على رغبتك لن نتخذ أي إجراء.

تنفس الجميع الصعداء.. رغم محنة الأمس ظهر أن آل كرستون غير راغبين في دفع القضية أكثر من هذا وأما مدير الموقع فيفضل نسيان المسألة على طرد مرشدة.. وأما إيما وروبن فيشعران بالذنب وهذا قد عاقبهما أكثر من أي ضغط عملي آخر..

نظرت ڤيكتوريا إلى الآخرين.. كانت وجوههم تسجل ردات فعل مختلفة ولم يكن صعباً تفسير ماهية شعورهم.. باستثناء ڤيل الذي كان وجهه قناعاً لا سبيل إلى اختراقه.

بعد بضع دقائق استعد الجميع للخروج وهم يتأهبون لرمي ما حدث بالأمس وراء ظهورهم.. فبالنسبة لهم انتهى كل شيء.. حاولت ڤيكتوريا إظهار مشاركتها لمشاعرهم ولكنها عرفت أن لا شيء مما يحسون به يتوافق مع أحاسيسها. الراحة.. نعم.. ولكن هذا ما كان عليه شعورها ليلة أمس بعد العثور على آني. أما هذا الصباح فلا تشعر إلا بجرح عميق وألم سببهما لها ڤيل. وللأسف لم يستطع ما قيل في المكتب أن يخفف من حدتهما..

كانت تهم بالخروج من الباب عندما ناداها ڤيل.

- رجاءً ڤيكتوريا ابقي هنا بضع دقائق.

حقاً؟ شعرت برغبة في صفعه وفي شتمه. ولكنها لن تقدم على شيء كهذا لأنه سيبدو تصرفاً غريباً، صبيانياً.. توقفت بأدب وارتدت إلى الغرفة.

يبدو أن ڤيل كلّم جاك سراً فقد تمتم شيئاً عن ضرورة تفقد غرفة الغسيل وكان الباقون قد غادروا قبله.

جلست ڤيكتوريا تحدق إلى ڤيل لدقائق وكان هو يبادلها النظرات.. كان جالساً في مقعد دوّار يقلب قلماً بين أصابعه أما هي فكانت جالسة على حافة الكرسي بانتظار أن يبادر هو إلى الحديث. طلب منها البقاء، فليبدأ هو الكلام.

- لماذا لم تخبريني.. ڤيكتوريا؟

- لم تترك لي الفرصة.

هز رأسه: «مون ديو.. ڤيكتوريا.. لا بد أن الفرصة قد سنحت لي وقت ما من ليلة أمس أو هذا الصباح..!»

نظرت إليه بثبات:

- وهل تصدق هذا حقاً؟ إن كنت تصدق فهذا يعني أنك تخدع نفسك.. حاولت أكثر من مرة أن أشرح لك.. ولكنك رفضت الإصغاء. آمنت بما أردت أن تصدقه.. لم يكن ذلك رجاحة عقل بل عناداً وتعجرفاً.

وضع القلم من يده بحدة، وهبّ من مكانه ودار حول المنصة حتى وصل قرب كرسيها وهناك على طرف الطاولة جلس.

- يجب أن نعترف أن الأدلة كانت دامغة.

- حسناً.. سأعترف أنها «بدت» دامغة. ولكن لو أمعنت التفكير لاكتشفت أنها أدلة كاذبة.

اذعى الإجفال ولكن عينيه كانتا جادتين.

- أعتقد أنني مدين لك باعتذار.

ليه لم يكن قريباً منها إلى هذا الحد.. فقربه منها يشوش فكرها وكيانها كله.

- اعتذر إن شئت عن الغلطة التي ارتكبتها بحقي ولكنك مهما قلت لن تقدر على إبطال التهم التي أطلقتها عليّ هذا الصباح... ألديك فكرة عما شعرت به؟

أمرها بصوت لطيف:

- فيكتوريا.. أنظري إلي.. ما كان يجب أن أقول تلك الكلمات الشنيعة والظالمة..

أيغرق المرء وهو بعيد عن الماء؟ لم تكن عينا فيل باردتين متوحشتين كالمحيط الهادر الآن.. بل كانتا وادعتين وخضراوين كمياه الشواطىء.. حاولت أن تنقل بصرها إلى ربطة عنقه لأنها أسلم منطقة في الوقت الحاضر..

- لا يمكنك.. التراجع.. عن كلام قلته.. هكذا.. لقد قلته، ولا أستطيع أن أنساه.

امتدت يده فأمسكت يدها وجذبتها لتقف ثم وضع يديه خلف ظهرها:

- في بعض الأحيان تتكلم الأفعال بصوت مرتفع أكثر من الكلمات. ألا توافقينني الرأي؟.. سأعبر بالأفعال لا بالكلمات عن مدى أسفي.

وضمها إليه دافناً وجهه في عنقها، أما هي فأغمضت عينيها لتتجنب المشاعر التي بدأت مسيرتها في شرايينها..

تمتمت: «لا أدري».

رد: «أما أنا فأدري.. ثقي بي».



كان الجو بينهما مشحوناً بالتوتر. عندما فتحت عينيها لتنظر إليه تساءلت عن المرة الأخيرة التي شعرت فيها بمثل هذه المشاعر. لقد شعرت بأنها تكاد تحترق بحرارة قوية.

لماذا نقاوم هذا المد المتموج في أعماقنا؟ إنها معركة خاسرة.. التصقت به بوهن.

سأل فيل: ألن ترحلي؟

- ماذا؟

فتحت عينيها.. ترحل؟ لا يبدو أن إيما أخبرته بأنها تخطط للرحيل.. يا الله! غايفن! قال إنه جاء من أجلها.. ليعيدها إلى انكلترا. لقد نسيته.. يفترض بها أن تقابله وقت الغداء للتحدث عن الأمر.. آه! يا إلهي!.. كيف سمحت لهذا أن يحدث؟

برز الواقع فجأة فتصلبت فيكتوريا بين ذراعي فيل.. لم تعد مطواعة.

- لا أدري.

نزلت يداه عن خصرها:

- ما الذي لا تدرينه بالضبط؟

- لا أدري إن كنت باقية أم راحلة.

- بسبب ما جرى هذا الصباح؟

- جزئياً.

- أم بسبب.. صديقك الإنكليزي؟

توسلته ليفهم: «يجب أن أكلمه قبل».

وافقتها برقة: «يجب أن تكلميه بالتأكيد».

بدا صوته رقيقاً بشكل خطير.. أبعدها عنه إنما بحزم ثم عاد

إلى الجهة الأخرى.. ها هو يعود مرة أخرى رب العمل وها هي تعود من جديد مجرد موظفة لديه.

قال بصوت بارد كشظايا الثلج:

- إذا قررت الذهاب فأبلغيني.

ردت بهدوء: «بالتأكيد».

لديها أشياء كثيرة تقولها.. ولكن كيف؟ لقد عاد شخصاً غريباً مهذباً لا تعرف كيف تصل إليه.

كان غايفن قد استأجر سيارة فعندما جاء لمقابلة ڤيكتوريا اتفقا على ترك الموقع مدة ساعتين ليتمكنا من الكلام. ولئلا تلفت انتباه المتسائلين، اتجهت إلى البلدة القريبة «بنات» وهناك أوقف السيارة قرب نهر «دوردوغان» ثم سارا إلى ضفته الرملية وجلسا على مرجة خضراء.

كانت تنظر إليه خلسة وهما في السيارة وفي المطعم، إنه وسيم وهو صاحب سحر خاص به أثر في النساء اللاتي مررن به منذ ساعة حتى الآن. كانت ڤيكتوريا تنتظر هذا السحر ليؤثر فيها كما كان يحدث يوماً، ولكن سحره لم يؤثر فيها.. نعم لا تنكر أن سحره أكثر بروزاً بحيث لا يمكنها تجاهله ولكنه سحر بارد.. شعرت بأنها طورت نوعاً من المناعة ضده، وهذا يجد ذاته يصدمها.

كان يتحدث طوال الوقت بمواضيع غير شخصية. تحدث عن العمل وعن الوطن وكان يقص عليها أخبار زملائها السابقين وأصدقائهما المشتركين.. بدا لطيفاً غير متطلب ولكن بعد برهة، وجدت ڤيكتوريا أنها تشعر بالتململ والقلق.. كانت هي وغايفن



أشبه بقريبين يتحدثان عن أمور عائلية عامة. ولكن لماذا جاء إلى هنا؟ أليحدثها بهذه المواضيع؟ يجب أن يتكلما.. كلاماً حقيقياً عن نفسيهما.. لا عن الآخرين.

سألت وهما يرتشفان القهوة:

- كيف وجدتني؟

ربت يدها: «ليس الآن حبيبتي.. انتظري حتى ننفرد بأنفسنا».

أحست بأنه يربت يدها بطريقة متسلطة.

بعد ساعة وهما على ضفة النهر المغطاة بالعشب، كررت سؤالها.. فاقتطع غايفن ورقة عشب وأخذ يلاعبها بين أصابعه مفكراً.

- كانت أمك غاضبة مني فلم تسمح لي بدخول المنزل.. قالت إنني حطمت قلبك.. ألا تستحق الفتاة المسكينة بعض الراحة؟ هل حطمت قلبك فعلاً حبيبتي؟

عبثت ڤيكتوريا بالرمل بين أصابعها.. نعم لقد «أمنت» أنه حطم قلبها ذلك اليوم في الشقة ولكنه يخفق بشكل رائع، وبدون اضطراب.. أهو قلبها الذي جرح أم كرامتها؟

ردت بصدق: «لا.. لم تحطم قلبي».

تمتم بغير اقتناع: «آه.. جيد».

أهذا كل شيء؟ هل قطع هذه المسافة كلها ليتأكد إن كان قلبها محطماً؟ لماذا تشعر برغبة في الضحك؟

تنحنح غايفن، وكأنه على وشك قول ما له أهمية كبرى.

- أعتقد أنك كنت قاسية عليّ قليلاً ڤيكتوريا.. في انكلترا.

ارتفع حاجباها بعدم تصديق:

- تظن أنني.. أنا.. كنت قاسية عليك.. أنت الذي كنت في الفراش مع.. تلك.. تلك المرأة.. ألا تذكر؟

- حبيبتي.. تعرفين أن ذلك لا يعني لي شيئاً.. كان مجرد.. مرح.. لعبة..

ردت بقسوة:

- المرح واللعب للأطفال غايثن، وليس للكبار.

- حسناً.. كنت فتىً عابثاً تلقن دوسه، وأعدك ألا يتكرر ما حدث ثانية. فهلا سامحتني؟

أيعتقد أن بضع كلمات منمقة قادرة على رد عقارب الساعة إلى الوراء.

- ولماذا ندمت فجأة؟ لماذا لم تقل لي شيئاً يومذاك؟

هز كتفيه: الكرامة على ما أعتقد. لقد صدمتني ذلك اليوم بدخولك عليّ كما دخلت.. احتجت إلى قليل من الوقت لأتغلب على الصدمة.

- وما إن تغلبت على صدمة التجربة حتى جئت تبحث عني، ولم تجدني.

- لم أتوقع أن تسافري بهذه السرعة.. أما العمل فقد أصبح مربكاً قليلاً.. ولكنني لم أتوقع أن تتركي انكلترا كذلك.

- ربما كان عليّ أن أترك لك عنواني مقدماً لتتصل بي متى شئت..

- لا تكوني ساخرة.. هذا لا يناسبك.

سألت وعيناها تبرقان كجوزتين مشعتين:



- وما الذي يناسبني؟ هل تعرف.. هل تهتم غايثن؟

تمتم بصوت شبه مرتجف:

- ظننت أن كل واحد منا يناسب الآخر.

- وأنا ظننت ذلك أيضاً.. لا يبدو أن الخيانة أو الخداع أمر هام بنظرك.. كيف تظن أنني شعرت ذلك اليوم؟ هل حاولت أن تفهم مشاعري أنا؟

شد غايثن بقوة على غصن العشب وقطعه.

- لولا اهتمامي بك لما جئت إلى هنا.. لم أرغب أن ينتهي ما بيننا.

هزت رأسها: ألا تدرك أن هذا يزيد الأمر سوءاً.. لقد أردتني وأردت تلك المرأة.. أو واحدة غيرها تماثلها. الحياة ليست هكذا غايثن.. الراشدون لا يستطيعون أن يتصرفوا تصرفات طفولية.. يريدون كل ما يرونه في واجهة محل الألعاب.. يجب عليهم أن يختاروا ويلتزموا بما يختارونه.

- يا إلهي! لقد أصبحت مرشدة أخلاقية. ما السبب.. أهو شيء في الجو هنا؟

علا التجهم تعبير وجهها ونقدت عيناها بريقهما..

- لا.. بل نضجت بما فيه الكفاية بحيث أدركت أن الفتنة كثيراً ما تقدم مع بضع دعوات عشاء على ضوء الشموع دون أن يعني ذلك «حب».

صاح بصوت أجش:

- وماذا تقصدين؟

- أعني أنه لم يعد بيننا ما يقال..

وكانت تعني ما تقول:

- أوقطعت هذه المسافة كلها مياة؟ ألن تعودي معي؟

هزت رأسها: «هذا ما أخشاه».

أحست للمرة الأولى منذ شهر بأنها متحررة كلياً. كانت بحاجة للافتراق عنه وللملاقاته ثانية، لتدرك أي نوع من الرجال هو. إنه رجل فاتن، وسيم، ناجح.. أجل.. لكنه مدلل وأناني ومغرور وغير ناضج. الواقع أنها لم تحبه، بل كانت تحب فكرة «الحب». استحوذت عليها فكرة الزواج والاستقرار بحيث فقدت القدرة على التمييز.. فغايفن لن يهتم أبداً إلا بنفسه، وهذه الأنانية وهذا الغرور أساسان ضعيفان لأية علاقة.

عادا إلى المخيم صامتين. ولكن فيكتوريا سألته بدافع الأدب عن مخططاته، فأخبرها ببرود أنه سيجمع أغراضه من الفندق في «سارلانه» حتى يتجه إلى باريس.. ابتسمت فيكتوريا لنفسها.. لا شك لديها أنه سيجد السلوان بين ذراعي باريسية لعوب.

ما إن وصلت حتى وجدت الخيمة مهجورة وافترضت أن إيما مع روبن.. وبما أن اليوم هو السبت وبما أن لا عمل لديها فقد قررت الاستمتاع بما تبقى من هذا النهار بالتعرض لأشعة الشمس.

بعدما فتحت الكرسي الخشبي الطويل المخصص للتعرض للشمس، وبعدما حضرت شراباً بارداً استقرت على القماش.. شعرت بالتعب بسبب قلة النوم في الليلة السابقة. ولكن تفكيرها كان يضج بأفكار عديدة فلم تستطع الاسترخاء أو الإغفاء.. فقد وقعت أحداث كثيرة في الساعات الأربع والعشرين الماضية.. وبدا أن أسابيع مرت.. وأحست أنها تعيش في عالم غامض



متلاطم الأمواج.

معرفتها بأنها لا تحب غايفن بل لم تحبه قط صدمتها.. وربما عرف قلبها هذه الحقيقة منذ وقت، ولكنها كانت مسحورة بذكرياتها فلم تسمع ما يوحيه لها قلبها.. عندما تذكرت أحداث علاقتها به وجدت أن كل شيء كان واضحاً.. تذكر أنها شعرت بغروره منذ جاء يسعى إليها أول مرة.. فهو على أي حال أحد النجوم الصاعدين في الشركة.. وكان عندهما أشياء مشتركة ولكنها أرادت أكثر من هذا.. لقد أرادت الوقوع في الحب. فوالداها متزوجان سعيدان، ولها شقيقتان وأخ متزوجون وسعداء هم أيضاً في حياتهم.. ربما ساعتها البيولوجية قررت فجأة أن دورها قد حان وأنها ستستقر مع أول رجل يقع قلبها في شباكه. كادت تمضي في هذا الخيال ولهذا لم تفهم طبيعة غايفن. والواقع أن الزواج ما كان لينجح بينهما بل كان سيكون واجهة براقة خالية من الحب.

أصبح كل شيء واضحاً.. لماذا لم يتضح لها هذا مع قيل؟ لقد تصارعت أسابيع وأسابيع مع مشاعرها تجاهه. وفي الحقيقة كان عليها أن تكون.. ماذا؟ تفكر في مشاعرها تجاه قيل؟ لماذا استطاعت فجأة رؤية هشاشة شخصية غايفن؟ ليس غايفن بحد ذاته هو الذي كشف ضعفه وهشاشته.. بل مقارنتها إياه مع قيل.. في البداية اعتقدت أن فيهما أشياء مشتركة، المظهر الجيد والسحر والنجاح.. لذا خافت أن تنجذب إلى قيل كرد فعل على حبها لغايفن.. وظنت أن من المستحيل لها أن تهتم بقيل، لأنها ما تزال على حب غايفن.. وما أشد ما كانت غبية.. لقد حاول قلبها

إرشادها في هذا السياق فلم تصغ إليه. إنها غير منجذبة إلى ڤيل فقط بل تحبه أيضاً.

فاجأها ما اعترفت به لنفسها الآن. ففتحت عينيها على مداهما في وجه الشمس الباهرة. وتمتمت ببطء:

- أنا أحب ڤيل!

عندما قالت هذا راحت كل ذرة في كيانها وفي فكرها وجسدها وروحها تردد الكلام بحيوية. على حين غرة عرفت أن ما تشعر به تجاه ڤيل ليس استلطافاً فحسب بل حب امرأة لرجل.

إن ڤيل وغايڤن متشابهان على مستوى مصطنع، ولكن غير متشابهين أبداً على المستوى الإنساني، وڤيل يهتم بالآخرين: أربنا، والده الراحل، عماله، وزوار المخيم وآني ليلة أمس. أما غايڤن فلا يمكن أن يكون مثله أبداً.

وهو رغم قوته رجل غير كامل لأنه قادر على ارتكاب الخطأ وعلى فقدان الأعصاب. أليس هذا ما حدث معه هذا الصباح؟.. ولكن شخصيته قوية بحيث يدرك أخطاءه ويعتذر عنها. أوَ ليس هذا هو الإحساس الحقيقي بقوة الشخصية؟ لقد رأت جميع أخطاء ڤيل وقوته وأحبت الرجل الذي يمثله وليس تلك الشخصية الزائفة التي صنعتها من نسيج خيالها.

لكن.. إلى أين يقودها هذا الاكتشاف المذهل؟ من الجيد جداً التفكير الآن هي تفكر في مشاعرها تجاه ڤيل، ڤيل الذي رمت علاقتها به وراء ظهرها بعد الفراق البارد هذا الصباح.

ربما جاء دورها لترفع غصون الزيتون.

سنقام الليلة حفلة راقصة فإن كانت محظوظة وجدت ڤيل



هناك..

حسناً.. نستحق المسألة التجربة.

بعد عدة ساعات، دخلت ڤيكتوريا إلى المقهى برفقة إيما وروبن وجيل وجوليا وبيتر، وجدوا مائدة واحدة لم يجلس إليها أحد فجلسوا إليها وانحشروا حشراً كالسردين. فكرت ڤيكتوريا بسخرية جافة أنها جلسة حميمة دافئة خاصة لأنها وجدت نفسها تلتصق ببيتر والغريب أنه بدا للمرة الأولى راغباً في الحديث، فقد سأل دون توجيه السؤال لأحد:

- هل أعلن عن المزيد من الحوادث؟

سألته إيما بجرأة لم تحاول فيها إخفاء كرهها لبيتر:

- مثل ماذا؟

لوح بيتر في الهواء:

- آه! تعرفين.. سرقات، أضرار خفيفة.

هز روبن كتفيه:

- وقعت حادثة اليوم.. مُزّقت إطارات سيارة بسكين، وقد غضب مالكها وأنا لا ألومه على غضبه.

سألت ڤيكتوريا: «وهل بلّغ عن الحادثة».

هز روبن رأسه:

- أخبرنا جاك، ولكن لم يكن بيده حيلة. فقد حدث ذلك ليلاً!

جاء سؤال من بيتر:

- هل يخططون للقيام بحراسة ليلية؟ لا.. فالحوادث جميعها وقعت ليلاً؟

هز روبن رأسه ضاحكاً:

ـ ماذا؟ حراسة؟ استلم النوبة الأولى بيتر.

ابتسم بيتر بشفتين مشدودتين، وأحست ڤيكتوريا به يتحرك بغير ارتياح فسألت:

ـ وهل وقعت عندك حوادث غريبة؟

أجابت جوليا: «نعم بالتأكيد.. في الأسبوع الماضي كادت تنهار امرأة لأن لفافات تسخين الشعر سرقت منها.. قالت إن لم تستطع تصفيف شعرها بها، فستلد».

رفعت عينيها إلى فوق معبرة عن عجبها.

قال بيتر مقترحاً وعلى وجهه نظرة ماكرة:

ـ مع أن هذه الحادثة لا تعدّ شيئاً مقارنة مع حادثة الأمس في فسمكم.

نظرت إليه ڤيكتوريا ببرود: «ماذا تعني؟»

ـ حسناً.. لن تكون شركة المخبمات الصيفية راضية عندما تعلم أنكم كدتم تفقدون طفلة.

سألته ڤيكتوريا بجفاء: «وهل تنوي إخبار الشركة؟»

تنحنح مضطرباً:

ـ لا.. آه.. بالتأكيد لا.. لكنني واثق أن الأبوين سيقدمان على ذلك.

ردت ببرود جاف:

ـ هذا شأن خاص بأسرة كرستون وحدها، ولا شأن لك به.

بدا متزعجاً فرفع كأس المرطبات وأفرغ محتوياته دفعة واحدة. ثم وقف ليجلب كوباً آخر ولكنه لم يزعج نفسه بالسؤال



إن كان أحدهم يرغب في كوب آخر.. عبست إيما:

ـ يا لهذا الرجل البائس! المؤسف أن علينا أن نطيقه حتى آخر الصيف.

ضحك الجميع وتبددت غيمة التوتر.

ما إن مضى الوقت حتى وجدت ڤيكتوريا أنها تلقي نظرة إثر نظرة إلى ساعتها وما إن حلت الساعة العاشرة حتى فقدت الأمل بحضور ڤيل فلا تظنه يأتي بعد الآن.

في الحادية عشرة والنصف اكتفت ڤيكتوريا من السهرة.. فلن يأتي ڤيل وإن سمعت كلمة واحدة من جيل عن تصليح المراحيض في الموقع، لبدأت بالصراخ. انتظرت اللحظة المناسبة للانسحاب ولكنها سمعت بيتر يطلق صفير إعجاب من بين أسنانه.. ترى ما الذي يدفع بيتر إلى هذا الصفير؟ إنه شخص مثير للفضول بحد ذاته. لحقت عينا ڤيكتوريا ما تنظر إليه عين بيتر وليتها لم تنظر!

كان ڤيل واقفاً بالباب.. أربعة أشخاص وامرأة الواضح أنها رفيقته لهذه الأمسية.. ولا تظن أبداً أنها أخته هذه المرة. كانت طويلة شقراء، ممشوقة القوام.. بدت شبيهة بعارضة أزياء، فثناياها جميعها متناسقة ورقيقة وباقة فستانها الواسعة جذبت نظر بيتر ونظرات الحاضرين. ولكن لم تكن أناقة فستانها هو ما أثار اهتمام ڤيكتوريا بل شفتاها الحمراوان الصارختان نحو ڤيل وأظافرها الحمراء الطويلة التي تشبك ذراعها بذراعه.. راقبت تقدمهما بعينين مؤلمتين، فلاحظة الطريقة التي كان يميل ڤيل برأسه الأسود نحو رأسها الأشقر، والطريقة التي التوى فيها فمه القاسي بالتسلية

لشيء قاله. والطريقة التي كانت تلتف يده فيها بشكل مألوف على خصرها النحيل وهو يجلسها في زاوية المقعد إلى جانبه.

راحت عيناها تراقبانهما ويد باردة تمسك قلبها وتعصره بشكل مؤلم.. قبل وقت قصير اعتقدت أن من المتحيل أن تكتشف أن خفقات قلبها ظلت ثابتة بوجود غابض.. ولكن قلبها الآن بدا ممزقاً إرباً، إرباً.. هذا الصباح فقط كانت هاتان اليدان على خصرها.. وعيناه تنقلان إليها نظرات حميمة كالتي تنقلانها الآن لهذه المرأة.

قال بيتر وهو يتعمد دفع السكين إلى مكان عميق:

ـ حسناً.. حسناً.. للكونت طريقته مع النساء، فهذه المرأة تأكل من يده كأي حيوان أليف.

أوحت كلماته بأنه سعيد لأنه رد الكيل إلى ڤيكتوريا.. لكن إيما هبت للدفاع عن صديقتها بكل ولاء:

ـ اخرس بيتر.. سحرك سحر أفعى سامة، ولباقتك لباقة وحيد القرن.. إن أردنا سماع رأيك سألناك.

ابتسمت ڤيكتوريا شاكرة صديقتها ولم تجرؤ على الكلام فلو تكلمت لفتحت بوابة الدمع على مصراعيها والحقيقة أن كل ما أرادت القيام به هو الخروج من هنا والعودة إلى خيمتها لتنفرد بنفسها ولتلعق جراح قلبها بسلام.

عليها حتى تصل إلى الباب أن تقطع الغرفة من أولها إلى آخرها وهذا يعني أن قيل سيراها وسيعرف أنها رأته.. لكنها لم تكن تهتم، فكل ما أرادته هو الخروج بكرامة سليمة.

كانت المسافة قصيرة، حوالي ثلاثين ياردا ولكنها بالنسبة لها



ثلاثين ميلاً.. أخيراً انتهت.. وأصبحت في الخارج وهناك ركضت وكأن حياتها وقف على عودتها إلى الخيمة.. وهناك انهمرت دموعها حتى شعرت بقلبها يكاد يتوقف عن الخفقان.

* * *

## ٩ ـ سجنه الرائع

في الأسبوع التالي عملت فيكتوريا بجد ولكنها كانت تشعر بأنها تصف حبة. تعاملت مع مهماتها كإنسان آلي وقد لاحظ الأولاد عدم اهتمامها خلال ألعاب الصباح فبدؤوا التلاعب بها. في البداية شعرت بالتوتر لأنهم منكبون أيضاً على إثارة المزيد من المتاعب، ولكنها سرعان ما أدركت أنها طريقتهم للفت انتباهها. عندئذ حاولت اختراق حجاب عدم الاكتراث المعلق أمام عينيها. وبذلت جهداً لاستجماع شتات نفسها وراحت تركز على الألعاب ولكن قلبها لم يكن حاضراً وقد شعر الأولاد بهذا.

كانت إحدى أسوأ اللحظات لحظة وداع أوبنا التي جاءت أمها لتأخذها بعد ظهر يوم الأحد، وتعمدت التوقف قرب الخيمة لتشكر فيكتوريا لأنها سمحت للطفلة بالمشاركة في النشاط.

ودعت أوبنا فيكتوريا قائلة: قبلي خالي نيابة عني؟

لم يكن للطفلة فكرة عن مدى الألم الذي سببه كلماتها. تورد وجه فيكتوريا حرجاً عندما نقلت الأم بصرها بينهما باهتمام وترقب. أخيراً ابتعدت السيارة السوداء، وبقيت فيكتوريا تحدق إليها وكأنها آخر صلة لها بنيقيل.

لم تستطع فيكتوريا إلقاء اللوم كله على قيل. وكيف تلومه؟



فهو لم يخدعها من وراء ظهرها، ولم يقطع وعداً ثم أخلفه. لقد طلب منها بطريقة غير مباشرة البقاء هنا... سألها ما إذا كانت مستعدة لإعطاء علاقتهما فرصة جديدة ولكنها هي التي تهربت من الالتزام، وهي التي أصرت على رؤية غايثن قبل أن ترد عليه، وهي التي تركته بعدما تركت لديه انطباعاً بأن غايثن أهم منه في قلبها.. بعد هذا.. أمن الغرابة أن يحول اهتمامه إلى امرأة أخرى مفتونة بسحره؟ لماذا كانت عمياء إلى هذه الدرجة؟

في نهاية الأسبوع التالي شعرت فيكتوريا بالإرهاق والكلل.. لقد لمحت قيل بعض الأحيان في الأسبوع المنصرم، ولكنها لم تكن قريبة منه في كل مرة ليتبادلا الكلام. ثم ماذا لديها لتقوله فيما لو تكلما؟

مساء السبت قررت الإدارة إقامة حفل شواء في الهواء الطلق لاستقبال آخر مجموعة من الزوار الجدد. وهو نشاط ترغب في المشاركة به.. تطوع روبن وإيما وجيل لقضاء بعد الظهر في التحضير للأمسية، فراحوا ينقلون رزماً من القش من مخزن الغلال إلى قرب المسبح. أما فيكتوريا فاختارت تنظيف الخيم الخالية وتجهيزها للقادمين الجدد.

في الثالثة من بعد الظهر أصبحت الخيم الستة جاهزة ونظيفة، وامتلأت بالمعلبات الأساسية كالسكر والقهوة والشاي والحليب والزبدة والجبن ليستطيع الزوار فيما لو وصلوا بعد إقفال المتجر أن يتدبروا أمورهم.

ما إن أقفلت سحاب آخر خيمة حتى مدت ذراعيها في الهواء

ومالت إلى الوراء تتمطى.. أحست بتصلب في عضلاتها بسبب الانحناء والجثو. مرت وهي في طريقها ببيتر الذي كان يقوم بالمهمة ذاتها، بدا مغبراً عرقاً وعنقه حمراء بشكل بشع.

قالت وهي تمر به بسرعة: «مرحباً».

لكنه مد يده يعيق تقدمها

- هل أنهيت الخيم؟

مرت رأسها ونظرت إلى يده على ذراعها:

- أجل.. أنهيتها.. لماذا تسأل؟

هز كتفيه بعدم اهتمام:

- لا سبب محدد، إنه مجرد سؤال. هل ستذهبين إلى حفل الشواء الليلة؟

- ستذهب جميعاً.

ابتسم بيتر ولكنها لم تكن ابتسامة.

- لم أرك تشاركين بالنشاطات هذا الأسبوع وبالتحديد منذ وجد صديقنا الكونت صديقة أخرى يتلاعب بها.

ناقت يداها إلى مسح التكشيرة عن وجهه.. ولكنها رفضت السماح له برؤية الألم الذي أحدثه كلماته.. فتحت عينيها على مداعما وسألت بسذاجة مصطنعة ساخرة:

- يتلاعب بها؟ لم أعرف أن هناك لعباً ستجري الليلة. أشكرك على ما قلت لي بيتر.. بين الأفضل أن أسرع لأجد شريكاً.

تجمدت التكشيرة على وجهه، فبدا صلباً لا يلين وهذا ما جعلها تكرهه أكثر فأكثر.. وقبل أن تنتظر رده ارتدت على عقبيها



قاصدة المركز.

فيما بعد وفيما كانت تستحم تأملت فيكتوريا قسماتها بانتقاد.. في الأسبوع الماضي لم تأكل جيداً ولم تنم جيداً وبسبب قلة النوم والأكل ظهرت ظلال سوداء تحت عينيها وبدت بنيتها العظمية الرقيقة بالغة الرقة. باختصار بدت متعبة وهشة.

عندما عادت إلى الخيمة زادت من وضع كريم الأساس على خديها.. ما زالت تملك شيئاً من الكرامة.. فهي لا تريد أن تظهر ضعفها وهشاشتها أمام ناظري قيل هذا إن حضر بالتأكيد.

اختارت تنورة وبلوزة.. كانت التنورة طويلة ومطبعة بالزهور، والبلوزة قصيرة الأكمام ولكنها كانت تحتضن خصرها.

ساوت فيكتوريا مع إيما وروبن وجبل إلى المنطقة المكشوفة في حفل الشواء. كان على عمال الموقع الدائمين تقديم الطعام والشراب، لذا لم يبق عليهم غير الترحيب بالقادمين الجدد والتأكد من راحة الجميع.

لم تصل إحدى العائلات المتوقع وصولها إلى المخيم، لذا قبل تناول الطعام، تقدمت فيكتوريا من البوابة لترى إن كان هناك أية رسالة. ووجدت فعلاً رسالة مسمرة على لوحة الإعلان تقول إن سيارة العائلة تعطلت في مرتفع العبور وإنهم لن يصلوا قبل الأحد أو الاثنين.

أخذت تتلاعب بما في صحنها تدفعه من جهة إلى أخرى دون أن تأكل منه شيئاً. ثمة شخص واحد تريد رؤيته، وهو غير موجود هذه الليلة. بعد نصف ساعة رأت أنها جالسة بمفردها فإيما وروبن يرقصان، وجبل ذهب يفتش عن جوليا وحتى بيتر وجد رفيقة

رقص، مراهقة مدللة كانت تحدق إلى قسمات وجهه بانبهار. راقبتهما ڤيكتوريا لبضع دقائق، واستغربت هذا الرجل.

دفعها ظل وقع على مائدتها إلى أن ترفع نظرها... وما إن رأت القادم حتى خفق قلبها أضعافاً مضاعفة... إنه ڤيل.

- أتحبين أن ترقصي؟

أوحت كلماته بأنها قادرة على الرفض ولكن صوته أخبرها بأنه لا يتوقع منها الرفض. وكان على كرامتها أن تكون أشد حزماً... ولكنها لم تستطع إنكار سعادتها برؤيته ولا تعليمات قلبها الذي طالبها أن تقبل... عندما قادها إلى الشرفة وضمها بين ذراعيه، عرفت أن لا مكان تفضله على هذا المكان.

لم يتكلما... كانت يده فقط على خصرها، وأصابعه على ظهرها ويدها في يده، وكانت تشعر شعوراً غريباً. إنها لحظة اكتمال بحد ذاتها... لا تحتاج إلى ماض أو مستقبل ولا تتطلب غير الاستسلام للأحاسيس التي تثيرها.

لكن السحر نادراً ما نجده خارج القصص الخيالية، فما إن صمتت الموسيقى حتى ابتعد ڤيل عنها لتحطم بذلك السحر الذي أحاط بهما فترة قصيرة.

- لقد بقيت.

كانت الكلمات باترة.

هزت رأسها بصمت... بم تجيب؟ لم أجد ما يستحق أن أترك عملي من أجله، أم لم أقدر على الرحيل؟ وكلا السببين صحيح... وكلاهما يسلب مشاعرها من أية طبقة تحميها. هل يجب... هل تستطيع... أن تكشف نفسها هكذا؟!



مع ذلك بدا أن ما يحتاج إليه ڤيل هو غير الرد... فما هي إلا لحظة حتى أمسك يدها وجرّها بعيداً عن مكان الشواء وبعيداً عن الراقصين الآخرين، واقتادها إلى القصر... عرفت أنها قادرة على انتزاع يدها منه ومنعه من اقتيادها، ولكن قوة غريبة كانت أقوى من نفسها تدفعها إلى الأمام. عندما وصلا القصر أرتقها ڤيل على الجدار ووضع ذراعيه على كلتا جانبيها، يأسرها بين ذراعيه لكن هل في الوجود سجن أروع من هذا؟ في هذه اللحظة لا تكترث من هو المهزوم أو من هو المنتصر؟

ثم ابتعد عنها فجأة، وحين فتحت عينيها، وجدت أن وجهه لا يبعد أكثر من إنشات عنها.

- لقد بقيت... لماذا؟

كانت عينا ڤيكتوريا ناعمتين ملتهبتين، تتوسلان إليه أن يكون لطيفاً، ولكنه لا يشعر برغبة في إظهار حنانه الآن... إن هذه الفتاة... دخلت إلى كيانه كثيراً... كثيراً... في البدء أثارت فضوله بسبب طريقتها في الدفاع وبسبب الحزن الذي كان يحرم حريتها. لكنه دأب على عدم التورط مع العاملات أو المرشدات في المخيم لأن مثل هذه العلاقة تسبب متاعب على المدى الطويل... ولكنه رغم حذره وجد اهتمامه بها يتعاظم... لماذا؟ نعم لا ينكر أنها جذابة، ولكنها ليست أجمل امرأة عرفها وليست أكثر النساء إذعاناً... فبعد ما جرى السبت الفائت اكتفى... وأقسم أنها النهاية... دعها تتابع طريقها مع صديقها الإنكليزي وتترك الموقع ولتخرج من حياته إلى الأبد. مع ذلك ها هي... ما زالت في مخيم غودارد... وها هو... لا يشعر بانزعاج من هذا الواقع... لماذا

بقيت؟ يجب أن يعرف.

كرر سؤاله بلطف أكثر:

- لماذا بقيت ڤيكتوريا؟

نظرت ڤيكتوريا إلى السماء المليئة بالنجوم فركزت نظرها على هذه اللآلىء الألماسية.

- ارتكبت غلطة.. لم أحب قط غايفن.. لقد أدركت عندما رأيته وتكلمت معه أنني لم أكن أحبه.

الاعتراف بالخطأ فضيلة.

أصر بدون رحمة:

- لكن لماذا بقيت؟

ارتد وجهها إليه وشفتاها ترتعشان:

- ولماذا تعتقد؟ لأنني لم أرغب في تركك.

ها قد اعترفت أخيراً.. فهل اكتفى؟

هذا ما يبدو.. فقد لانت تقاسيم وجهه وفقدت عيناه بريق الغضب وضمها إليه بحنان.. لكن ڤيكتوريا بحاجة إلى أكثر من الحنان.. إنها بحاجة إلى أن تتأكد من صدق خيارها. التفت يدها حول عنقه، تدفع رأسه ليستريح على عنقها. اغتنم الفرصة ببراعة، ودفعها بلطف نحو الجدار.. أحست بأنها تحولت إلى كرة من اللهب الذائب. لكنها رغم هذا دفعته قائلة:

- نيقيل.. أرجوك.. لا أعرف إن كنت مستعدة.

شعر بمدى حاجتها إلى الطمأنينة.

تمتم بلطف: بل أنت مستعدة.

- لا أقصد جسدياً بل عاطفياً.. تلك المرأة.. الست



الماضي..

ولم تستطع طرح السؤال.. ولكنها تريد الجواب. فرغم حبها لنيقيل ترفض أن تكون عدداً آخر في نسائه.

لم تكن تعرف كيف سيجيب نيقيل عن ملاحظتها.. أيجيبها وهو غاضب أم ساخط أم ماذا؟ لكنها تثق به وتعرف أنه سيكون صادقاً معها فإن لم تبادله الثقة فلن يكون لعلاقتهما أساس متين.

التوى فم نيقيل بما يشبه الابتسام، وطافت عيناه بوجهها، ولم تجد فيهما أثراً للغضب بل المرح:

- ماذا تريدين أن تعرفي بالضبط عن «تلك المرأة»؟

- تعرف عما أسأل.

سأل بدون أن يرف له جفن:

- تسألين ما إذا نمت معها؟

هزت رأسها ونظرت إليه مباشرة، وهمست:

- يجب أن أعرف.. نيقيل.

جاء رده بصوت منخفض أجش أظهر مدى تفهمه لمشاعرها.

- منذ عدة سنوات أجل. ولكن تلك العلاقة انتهت منذ زمن بعيد.

أسرها صوته واستولى على أحاسيسها:

- لكنها.. بدت.. جميلة خلابة.

لم يكن هذا ما تريد قوله أبداً.. جاكلين جميلة ولكنها لم تبدُ بمظهر الصديقة البريئة، بل بمظهر المرأة المهتمة باصطياد رجلها.

ابتسم بسمة أرسلت القشعريرة إلى أوصالها:

- جاكلين جميلة وفاتنة.. ولكننا صديقان وليطمئن بالك

أخبرك أنها وصلت أمسية السبت ورحلت في الأمسية ذاتها. أنا لا أؤمن بالعلاقة العابرة، أيا كانت العلاقة. ألا توافقيني الرأي؟

وكيف لا توافق، وكل ذرة من كيانها توافق على ما يقول؟ لقد حصلت على الرد الذي تريده، وتعرف أنه صادق.

جعلها نسيم الليل البارد تشعر بالبرد، فانحنت رغماً عنها.. أمسك قيل بيدها ثم ضمها بين ذراعيه وسمح لقوته بإعطائها الطمأنينة التي ليس بمقدور الكلمات تأمينها..

كان يعانقها بشوق وشغف حين سمعا صوتاً ينادي قيل..

أطلق شتيمة.. ماذا تريد منه السيدة ڤيران في مثل هذا الوقت؟

ابتعد عنها ثم توجه ليرد على السيدة ڤيران. أما هي فبقيت في مكانها.

بعد قليل عاد والتوتر بسيطر على وجهه:

- وقع انفجار في إحدى خيم شركة المخيمات الصيفية.

نظرت إليه بعدم تصديق:

- انفجار! يا إلهي! هل أصيب أحد؟

- لا نعرف. فلننطلق فوراً.

* * *



## ١٠ ـ ضربة على الرأس

قابلهما في المكتب جاك الذي رافقهما إلى مكان الانفجار. ربما كان دهشاً لوصولهما معاً ولكن لم تبد عليه الدهشة.

عرفت ڤيكتوريا من الاتجاه أن الخيمة المصابة هي إحدى التي عملت بها في الصباح فدعت الله: أوجوك ربي فلتكن الخيمة الفارغة.. وما إن وصلوا إلى الخيمة المصابة حتى حمدت الله. لأن أحداً لم يصب بأذى.

كانت جماعة من المخيمين يتهامسون ويترقبون كل تطور جديد بفضول غير خفي. سرعان ما عرف قيل ما حدث.. لقد شمّ الجيران في الخيمة الأخرى رائحة حريق بعد عودتهم من الحفلة، فنهضوا من النوم وألقوا نظرة على معداتهم، ثم خرجوا إلى الخارج فرأوا مصدر الرائحة. ففي الظلام سُهّل عليهم رؤية ألسنة النار التي كانت تلتهم الخيمة المجاورة. وما إن تقدموا ليروا إن كان بالإمكان إطفاء النار حتى وقع انفجار صغير، فقد انفجرت أنبوبة الغاز الصغيرة. ولما رأوا أن لا أثر للحركة فيها عرفوا أن الخيمة غير مأهولة وأوسلوا بخبرون مدير الموقع.

كانت ڤيكتوريا على وشك الدخول إلى هيكل الخيمة الألمنيوم لإلقاء نظرة على الضرر الذي لحق بالخيمة حين أمسك

قبل ذراعها:

- لا.. انتظري. هذا عمل رجال «الأمن» ورجال خدمة الحماية من الحوادث.. ستتركهم يلقون نظرة ليروا ما يمكن اكتشافه.

ما هي إلا ثوانٍ حتى فهمت تصده فربما يكون الحريق بفعل فاعل.. أما الفاعل فقد يكون ذاك المسؤول عن كل الأضرار الأخرى والسرقات! لكنه عمل مختلف.. فقد كانت عواقب هذا العمل وخيمة.. ترى هل عرف الفاعل أن هذه الخيمة ستبقى فارغة. أم لعله لم يكن يأبه لهذا الواقع؟

بعد أربع ساعات استدعيت ڤيكتوريا لمقابلة «الكوميسير» في الشرطة، وهو ما يماثل المفتش.

قال لها بالفرنسية وهي تدخل المكتب:

- آه.. بونجور مدموزيل ترايد.

وأشار إليها بالجلوس.. فردت بابتسامة صغيرة:

- بونجور.

لكن المفتش لم يرد الابتسامة.. إنه صغير البنية، منعدم التكوين، مع ذلك رفع هامته بوقار عسكري، ثم راحت عيناه الزرقاوان الباردتان ترقبانها. ارتعشت ڤيكتوريا خوفاً مع أن لا سبب يدعوها للخوف.. فكل ما يريد منها هو طرح بضع أسئلة.

- فهمت أنك المشرفة التي نظفت وأعدت تجهيزات الخيمة التي احترقت، يوم أمس. هل هذا صحيح؟

هزت ڤيكتوريا رأسها: هذا صحيح.. لقد تمت بهذا بعد ظهر الأمس. ولم تكن الخيمة الوحيدة بل عملت في خمس خيم



أخرى.

- وتعاملت مع كل الخيم بالطريقة ذاتها؟

- طبعاً.. فلدينا إجراءات محددة نتبعها.

وقف الكوميسير وبدأ يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً. أقلقتها هذه الحركة الدؤوب وشعرت كأنها ذبابة علقت في فخ عنكبوت.

- وهل عدت إلى الخيمة في المساء أو الليل؟

هزت رأسها: لا.. لم يكن هناك داعٍ لهذا.

- وهل عرفت أن الزوار الذين خصصت لهم هذه الخيمة لن يصلوا ليلة أمس؟

لماذا يطرح عليها مثل هذه الأسئلة فهي لا تفهم ما معنى ذلك؟

- أجل.. عندما لم أجدهم في حفل الشواء قصدت مكتب الدخول لأتفقدهم وهناك وجدت مذكرة تقول إن سيارتهم تعطلت في المساء وإنهم لن يصلوا قبل اليوم أو يوم الاثنين.

التوت شفتا الشرطي بابتسامة صغيرة:

- فليحمدوا الله أن سيارتهم تعطلت! ألن تقولي هذا؟

- طبعاً.. لكن ماذا..؟

- لحظة من فضلك، آنسة ترايد.. سأصل إلى مرادي. هل لديك فكرة عن سبب الحريق؟

هزت رأسها:

- لا.. آمل أن تخبرني أنت.. إذا كان السبب عطلاً في المعدات فسنضطر إلى الكشف على كل الخيم.

- لا عيب في المعدات.

هل سيكون لشكوك قيل أساس؟

ـ ماذا.. سبب الحريق إذن؟

ـ حسب تقرير ضابط الإطفاء.. الحريق بفعل فاعل.. يبدو أن أحدهم في المساء فتح قارورة الغاز، وترك قماشة مغمسة بالكحول تشتعل ببطء في زاوية الخيمة. استغرق بعض الوقت لوصول الغاز إلى النار ولكن ما إن وصل.. يوم.. حتى وقع الانفجار.. عمل بدائي ولكنه فعال.

صمت قليلاً ثم أردف:

ـ تعرفين أنها ليست الحادثة الأولى التي تقع في هذا الموقع وفي هذا الموسم بالتحديد آنسة ترايد؟ على أي حال هذه أخطر حادثة.. لأنها افتعلت لإثارة الذعر في قلوب الزائرين.. أما أسوأ نتائجها فهو الهلاك.

هزت ڤيكتوريا رأسه وقالت بهدوء:

ـ ندرك جميعاً كم كادت العواقب تكون وخيمة.

نظر إليها مفتش الشرطة بتجهم:

ـ ومن المهم جداً أن نجد الشخص المسؤول عنها بأسرع وقت ممكن.

تمتمت بحيرة: «بالتأكيد».

ماذا يحاول أن يقول؟ أينهمها في كل هذا؟ إنها كالجميع ملهوفة لمعرفة المتآمر.. ولم يخطر ببالها قط أن تتهم بأنها هي الفاعلة.

تغير صوت الكومسير:

ـ أرجو أن تكوني مستعدة للتعاون بأية طريقة ممكنة آنسة



ترايد.

ـ بالتأكيد.

ـ نهارك سعيد.. آنسة ترايد.

لم يعد وجودها ضرورياً في الوقت الراهن ولكنها لم تعرف ما هي الاستنتاجات التي توصل إليها المفتش من مقابلتهما إذ لم تفصح قسمات وجهه الغامضة عن شيء، ولم تكن ڤيكتوريا متأكدة ما إذا برأت نفسها أم أدانتها في نظره.

في المساء، التقت ڤيكتوريا بنيڤيل لتناول العشاء في المطعم.. ولكنه مثلها لم يكن متحمساً للطعام. فلما جاءت النادلة لترفع الأطباق لم تكن فارغة.. أما حديث قيل فكان متقطعاً... بذلت جهداً ليبقى الحديث دائراً، آخيراً تخلت عن أية محاولات وانقطعت عن قول أية كلمة، عندئذ وان الصمت الذي ازداد توتراً مع تقدم الوقت.. ما الأمر؟ لماذا قيل غارق هكذا في أفكاره؟ فهو يبدو بعيداً عنها مئات الأميال. ولأنها تعرف أنه قلق بسبب الحريق تطرقت إلى هذا الموضوع ولكنه قابل حديثها بصمت ماكر فعال.

فيما كانت تنظر إلى قسمات وجهه كادت لا تصدق أنه الشخص ذاته الذي أظهر لها دفئاً وحناناً كبيراً.. ولكنها لا تعرف كيف حل واحد مكان الآخر.

ـ قيل.. أرجوك قل لي.. ما الأمر؟

ـ تحدثت إلى مفتش الشرطة هذا الصباح.

وماذا قال له الكومسير؟

ـ أجل.

ـ إذن أنت تفهمين المشكلة.. يجب أن يعرف ما حدث في أسرع وقت ممكن.. وهذا أمر هام.

لماذا الاستمرار في تفسير ما هو واضح لها:

ـ طبعاً.

مرّ بوجهه ظل قاتم:

ـ ڤيكتوريا.. أريد أن أسألك..

في تلك اللحظة وقف جاك قرب الطاولة وابتسم لڤيكتوريا ابتسامة سريعة متشددة، لكنه أراد التحدث إلى ڤيل.

ـ تطور جديد.. هلاّ أتيت للتحدث مع ڤيوليت.

ڤيوليت هي إحدى العاملات الدائمات في المرتع.

هز ڤيل رأسه وعاد ينظر إلى ڤيكتوريا:

ـ يجب أن أذهب.. خذي حذرك.

هزت رأسها إيجاباً.. ولكن ما إن ابتعد الرجلان حتى أدركت أنه كان عليها أن تهزه نفياً.. إنها تكذب لأنها لم تفهم شيئاً.. ماذا أوشك أن يسألها؟ لماذا طلب منها أخذ الحيطة والحذر؟ لم يستطع عقلها أن يستنتج غير رد واحد.. لقد تكلم مع مفتش الشرطة الذي يعتقد أنها قد تكون المتآمرة والمسؤولة عن كافة الأضرار وعن الحريق. بدا هذا الاحتمال مستحيلاً.. لكن كيف تفسر تحفظه وانشغاله باله وتحذيره الأخير؟

التفت يد باردة حول قلبها تقبض عليه بأصابع لا ترحم.. عندئذ خرجت من المطعم وساقاها لا تكادان تحملانها.

لم تكن ڤيكتوريا قادرة على معرفة اللحظة التي عنّت فيها على بالها هذه الفكرة.. لكن ما إن غرست، حتى نمت البذرة بسرعة



في رأسها.. إنها ليست المتآمرة. ولكن الطريقة الوحيدة لإثبات عدم تآمرها هي كشف المجرم الحقيقي.. بوجه عام يقع عن أربعة أحداث منذ بداية الموسم.. ومنذ الحريق هدأ كل شيء لكنها أو لكنه لا يريد أن يفقد التأثير.. لذا من المحتمل أن تقع حادثة قبل نهاية الأسبوع. اليوم هو الأربعاء وهذا يعني أن الضربة قد تقع في هذه الليالي الثلاث.. إذا أخذت الحيطة والحذر فستضبط بالتأكيد الفاعل ولكن عليها أولاً أن تقرر من تراقب.

لم يكن خياراً صعباً.. فقد وثب إلى ذهنها اسم واحد.. بيتر. فمن بين جميع المشرفين في المرتع، هو الذي يبدو غريباً مع محيطه.. إنه فظ، جلف، لا يمكن الاقتراب منه.. لكن الأهم أن في شخصيته شيئاً غامضاً ملؤه الخداع وهو أمر لاحظه الجميع في بعض الأوقات. تذكرت حديثهما بعد ظهر السبت واهتمامه بالخيم التي تظلفها.. وربما خطط للقيام بعمل درامي عندما اكتشف أن الخيمة ستكون فارغة.. تعرف أنه لا ينوي القتل ولكنه ينوي إلقاء الرعب والخوف في القلوب وقد نجح في إثارة الهلع لأن أربع عائلات غادرت المخيم في اليوم التالي.

أخيراً، وضعت ڤيكتوريا خطتها ولم تذكر شيئاً لإيما لأنها تعرف أنها ستنصحها باللجوء إلى جاك لبقوم بالعمل.. ولكنها تفضل القيام بالأمر بنفسها.. يجب أن تثبت للڤيل براءتها.

تلك الليلة أوت إلى فراشها باكراً كالعادة ولكنها ظلت مستيقظة تشنّف أذنيها.. وعندما تأكدت أن زميلتها نامت، خاطرت بالتحرك.

لم تكن قد خلعت ثيابها نذنت من المدخل ومنه إلى غرفة

الجلوس فالباب الرئيسي.. ما إن خرجت حتى قررت عدم إقفال سحاب الباب خلفها لئلا يصدر صوتاً مزعجاً.. ابتعدت متسللة عن خيم المرشدين قاصدة فسحة بين شجرتين تقع على بُعد قليل، بحيث يتوفر لها المراقبة.. وانتظرت.

تخطت عقارب ساعتها منتصف الليل. ربما لن يتحرك بيتر الليلة، ولكنها ستراقب المكان فترة أخرى ولئلا تنام في مكانها راحت تكرر جدول الضرب، ثم شرعت بالبحث عن أسماء لكل حرف من الحروف الأبجدية.. لكن عينيها ثقلتا وتثاءبت.. يا الله! ماذا إن لم يحدث شيء الليلة فهي لن تستطيع السهر ليالين متتاليتين؟ كانت ساعتها تشير إلى الثانية.. إنها تنتظر منذ ساعتين..

في تلك اللحظة، تحرك ظل من خيم المرشدين وابتعد من بينها.. بيتر! إنه هو. تحرك بهدوء وراح يراقب حوله كفهد مفترس.. عليها أخذ الحيطة والحذر وإلا لمحها.. ضمت نفسها في الفراغ بين الشجرتين وحمدت الله لأنها ارتدت ثياباً قاتمة اللون.. صوّب عينه نحوها ولكنه لم يتوقف. فتنفست ڤيكتوريا الصعداء ثم رأته يسير بين الشجيرات الصغيرة التي تحيط بالمبنى الرئيسي ويتوجه غرب الموقع. لحقت ڤيكتوريا به على مسافة أملت أن تكون آمنة.. تختفي وراء الشجيرات كلما توقف الطيف أمامها. بدا وكأنه يتجه إلى قسم من الموقع حيث خيم شركته. وربما اعتقد أن الحادثة إن وقعت أزالت عنه الشك وزادت من حيرة القوم. بعد قليل نظر حوله بعناية وحذر.. ثم رأته ڤيكتوريا يخرج سكيناً كبيراً من جيبه، ويزحف نحو إحدى السيارات لبمزق



إطاراتها على ما يبدو.. الآن وقت العمل.. ترى ماذا تفعل الآن؟ فكرت في مواجهته وتصورت أن يصدمه ظهورها فيعترف ببساطة، ويستسلم دون مقاومة. هذه خطتها الأصلية التي بدت لها فعالة وهي تفكر فيها في خيمتها، أما الآن فلا تبدو مقنعة.. مع ذلك عليها القيام بأمر ما.. فإن لم تتصرف حالاً ثقب الإطارات وعاد إلى مكانه قبل أن تقبض عليه.

تسللت إلى أقرب نقطة مبكنة لها إليه، ثم وقفت بحيث يراها جيداً.. فهمس في الظلام:

ـ من هناك؟

ـ هذا أنا.. ڤيكتوريا. وأعرف ماذا تنوي أن تفعل بيتر.. لقد ضبطتك بالجرم المشهود.

تابعت سيرها نحوه.

قال ساخراً بلهجة ملؤها الشر:

ـ إنها كلمتك ضد كلمتي.

ـ أنت من يحمل السكين.

ـ ومن سيؤكد هذا؟ لا أرى شاهداً حولنا

ودنا منها.

شعرت بالخوف الحقيقي.. لقد ظنت أن بيتر سيتضعضع ما إن تكشف أمره ولكنها لم تفكر في أنها قد تتعرض للخطر.

قالت: «لست وحدي بيتر».

نظر حوله بريبة ثم نظر إليها:

ـ بل أعتقد أنك بمفردك.. فحتى الكونت لم يعد أسير فندقك على ما يبدو، كما كان في آخر يوم سبت. أليس كذلك؟ أعتقد أنه

نال مراده منك لقد خيبت ظنتك.

شعرت بأنه يطعنها في الصميم.

لكن إذا ظن أن الحقد الظالم قد يثنيها عن عزمها، فهو مخطىء. أحست فيكتوريا بفقاقيع الغضب تتصاعد في أعماقها. ما هي إلا لحظة حتى ركضت نحوه، وراحت تصرخ بأعلى صوتها فلعل شخصاً ما يسمع. ثم اشتبكت معه في صراع عنيف. لا تدري من أين أتتها تلك القوة فقد بذل جهداً ليحرر نفسه منها. بعد قليل سمعت وقع أقدام تقترب وتقترب. ليتها تستطيع الصمود بضع لحظات أخرى..

فجأة تفجر الألم في رأسها فحاولت التماسك. لكن الدنيا دارت بها ثم أخذت تقع. تقع. وغاصت في الظلام.

* * *

ـ يجب أن تبقى هادئة مدة يومين. إنما لا أظن أن هناك ضرراً حقيقياً.

ـ أليست بحاجة إلى مستشفى؟

ـ لا حاجة بها إلى المستشفى. ليس هناك دليل على كسر.. لكنني أظنها ستفقد الوعي قليلاً.. تلقت ضربة قوية.

سمعت فيكتوريا الأصوات وكأنها آتية من بعيد.. عم يتكلمون؟ تململت في مكانها. ماذا حدث للأرض تحتها؟ تذكرت أنها وقعت بقوة على الأرض. لكن ما تستلقي عليه الآن ناعم وطري..

ثم سمعت صوت الباب ينغلق بهدوء. فتحت عينيها بصعوبة فرأت جدراناً خضراء فاتحة، وستائر عاجية.. تذكر هذه



الألوان.. إنها غرفة نوم فيل! ماذا تفعل هنا؟ فجأة حاولت الجلوس ثم تأوهت بسبب الألم الذي شعرت به في رأسها.

ـ فيكتوريا.. لا تتحركي.

إنه صوت فيل! ألقى تعليماته بحدة ثم برقة أكثر:

ـ نامي.. لا تحاولي الجلوس لفترة.

أطاعته واستلقت على الوسادة، وأدارت رأسها إلى فيل الذي بدا متجهماً وغاضباً.. فأغمضت عينيها بسرعة.

عندما فتحتهما ثانية لم يكن قد اختفى كما أملت، بل بدا أقل قسوة.. فسألت:

ـ ماذا حدث؟

ـ ألا تذكرين؟

هزت رأسها قليلاً.. إنها تذكر كل شيء بوضوح حتى اللحظة التي سخر منها بيتر بشأن فيل.

قال فيل بقسوة:

ـ أسكت بيتر.. أيتها الحمقاء.. كاد يقتلك.

بدأت تحتج: «أوه.. أنا لا..». بيتر شرير ولكنه ليس قاتلاً.

ـ سحقاً.. لا تجادلي فيكي.. كنت محظوظة. لقد ضربك بقبضته لا بالسكين.. لماذا فعلت هذا بحق الله؟

نظرت إلى العداء البادي على وجهه.

ـ أردت فقط أن أثبت لك أنني لست من افتعل الحريق، أو الحوادث الأخرى.

ـ عمّ تتحدثين بحق الله؟ تثبتين ماذا؟

- ألم تشكّ في أنني من افتعل الحريق؟

لماذا هو قاس عليها هكذا؟

أمسك يدها يضغطها بقوة حتى أحست أنه يكاد يسحقها.

- بالتأكيد لم أشكّ فيك أيتها السخيفة.. عرفت أنك لست مسؤولة.

- لكن.. بعد الحريق، لم تتحدث إليّ وبدوت بارداً.. فخلتك تشك فيّ.

مرر أصابعه في شعره بنفاد صبر.. يبدو من الطريقة التي يقف فيها شعره، أنه كرر هذه الحركة عدة مرات في الليل.

- وأنت قلت إنني معتاد على جمع واحد وواحد ليكون الحاصل خمسة..

عبست: «لكنك طلبت مني أخذ الحيطة والحذر».

لان تعبير وجهه:

- لماذا تملك النساء مثل هذا العقل الملتوي؟ وحدها الأنثى تفسر مثل هذا الطلب على أنه إنذار.. طلبت منك أخذ الحيطة والحذر لئلا تتعرضي لما تعرضت له الآن.. لكنك للأسف لم تفهمي!

لا تعرف عما يتكلم لعقلها مشوّش.

- لكن.. مفتش الشرطة.. حسبته يشك فيّ.. وظننت أنه تكلم معك بالأمر.

تنهد قيل:

- لم يشك مفتش الشرطة فيك.. بل قال إن أحدهم يريد الإيقاع بك.



- أنا.. الإيقاع بي.. لماذا؟

هل أثرت الضربة في عقلها؟ إنها لا تفهم جيداً ما يقال.

سحب قيل نفساً عميقاً.. وكان صوته منخفضاً عمداً:

- كنا نراقب بيتر منذ مدة.. لكنه كان بارعاً لأنه كان دوماً يغير من خططه ليخفي آثاره.. ولم نكن نتوقع أين ستكون ضربته التالية.. لكن الحادثة الأخيرة كانت الأخطر.. عرف أن عليه وضع اللوم على شخص آخر فاختارك أنت ولأنك من نظّف الخيم في ذلك اليوم أصبحت المتهمة الأساسية. ولكنه لم يدرك أننا كنا نشك فيه.

بدأت الصورة تتضح.

- لكن لماذا طلبت مني أخذ الحذر؟ لماذا لم تلقوا القبض على بيتر فوراً؟

- لم يكن لدينا دليل بل مجرد شك، لهذا كنت يائساً لإنهاء المسألة. عرفت أنه سيضرب ضربته ثانية، وقريباً.. والله أعلم ما كان يحاول عقله الملتوي إلحاقه بك، لهذا قلت لك خذي حذرك.. ولكن ماذا فعلت؟ غضضت الطرف عن تحذيري، وذهبت لمواجهته وكأنك جيش من امرأة واحدة.. احمدي الله لأننا وضعنا رجلاً يراقبه فما إن تحرك حتى قصد جاك الذي استدعاني ولولا وصولنا في الوقت المحدد.. الله وحده يعرف ما كان سيحدث.

أمسكت يده بقوة فاعتقدت فيكتوريا أن دورتها الدموية ستتوقف للحظات.

- ماذا سيحدث له؟

- بيتر؟ لا أدري.. إنه في مديرية الشرطة وسيتهم بكل الحوادث التي افتعلها.. ولكن علينا أولاً النبل ممن أوسله كذلك.

- وهل ستتمكن من هذا؟

ابتسم ڤيل لأول مرة: «لا شك أنه سيعترف بالحقيقة تحت الضغط فلا شرف يربط اللصوص».

إذن كل شيء بألف حال إنما لماذا لم تشعرها هذه الأخبار بالرضى المطلوب؟

- من الآن فصاعداً ستكون سمعة الموقع آمنة.

- اللعنة على الموقع.. فما يصيبه أو أصابه غير هام، ولكن ما أصابك هو الذي أقلقني.

هل من العقيد لقلبها أن يخفق بمثل هذا الجنون؟ دار رأسها ودار ولكنها لم تعرف ما إذا كانت الضربة هي سبب هذا الدوران أم الطريقة التي نظر ڤيل بها إليها.

- أنا بخير.. حقاً.

صعب عليها ادعاء الشفاء الكامل ووجه ڤيل لا يبعد سوى إنشات عن وجهها.

- لكنني لست بخير ڤيكتوريا.. عندما رأيت بيتر يضربك هذه الليلة، أردت قتله. وحينما وقعت أردت أن أهزك من الغيظ لأنك عرضت نفسك للخطر بتلك الطريقة، وأردت في الوقت عينه أن أضمك لتشميدي وعيك. فهمت للمرة الأولى كم هو رهيب ورائع أن نحب شخصاً.

- ماذا.. ماذا قلت؟



لان وجه ڤيل والتوت شفتاه بابتسامة:

- ألم تسمعي؟

إن لم تكن أذناها تكذبان عليها فهي تريد سماع ما قال مراراً وتكراراً.

- ڤيل.. أرجوك.

- أحبك حباً لم أظن قط أنني قد أشعر بمثله.

كلمات بسيطة ولكنها أراحت أعصابها المتألمة ورأسها الصاخب وهدأت خفقات قلبها المتصاعدة.

- أوه.. ڤيل.. وأنا أحبك.. كثيراً.. كثيراً.. كثيراً.

ضحك ضحكة ماكرة: «كم؟»

ابتسمت له وفتحت ذراعيها على مداهما.

- بهذا القدر.

غاصت عيناه الخضراوان في عينيها:

- بقدر كاف يدفعك للزواج بي.

لم يكن يشك في الرد بل يريد تأكيده.

هزت ڤيكتوريا رأسها:

- خلتك لن تطلب هذا مني.

ضربها على دقنها ممازحاً:

- أتوقع في المستقبل وقاحة أقل من الكونتيس غودارد.

والتفت ذراعاه حولها في عناق وعد بأنه لن يتركها أبداً.. أبداً.. معاً سيراقبان فجر كل يوم جديد.. وشروق الشمس الذهبية فوق نهر الدوردوغان.

* * *